الباب الثاني

مهارت الاتصال الإبداعية

وفيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: الكتابة الإبداعية إمكانيتها ومفاتيحها وآلاتها.**

١- إمكانية الكتابة الإبداعية. ٢- مفاتيح الكتابة الإبداعية.

٣- آلات الكتابة الإبداعية.

- **الفصل الثاني: فن الشعر، ويتضمن:**

١- مكانة الشعر. ٢- تسمية الشعر.

٣- أجزاء الشعر. ٤- أهمية الشعر.

٥- عصور الشعر (الجاهلي، والإسلامي والأموي،والعباسي والأندلسي، والدول المتتابعة، والحديث والمعاصر).

٦- مدارسه: (المدرسة المحافظة، والمدرسة التأثرية ومنها: مدرسة الديوان، وأبولو، والمهجر، والشعر الحر).

٧- نصوص في الشعر ونقده.

٩- نماذج شعرية.

- **الفصل الثالث: الفنون النثرية، ويتضمن:**

أولاً : المقالة (تاريخها، وعناصرها، وأنواعها، ونماذج).

ثانيًا: القصة (تاريخها، وتعريفها، وأنواعها، واتجاهاتها، وخصائص بنائها، ونموذج).

ثالثًا: الرواية (تاريخها، وتعريفها، والأنواع والاتجاهات، والصياغة الفنية، ومقارنة بين روايتين).

رابعًا: المسرحية (تعريفها وعناصرها، وأنواعها، ونموذج).

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الكتابة الإبداعية إمكانيتها ومفاتيحها وآلاتها

وفيه:

١ـ إمكانية الكتابة الإبداعية.

٢- مفاتيح الكتابة والإبداع الأدبي.

٣- آلات الكتابة الإبداعية وأدواتها.

obeikandl.com

obeikandl.com

إمكانية الكتابة الإبداعية:

سـؤالٌ يُلحُّ علـى الخاطر، يقفز أمام مخيلة الكاتب، شـيءٌ ما يجعله يفكر في الكتابـة، ويحفزه عليها، فهـل رأى شيئًا أثار استغرابـه؟ أم سمع شيئًا تأذّى بسماعـه؟ أم قرأ شيئًا استنكره؟ أم أنَّ موضوعًا طالعه أثّر فيه سلبًا أم إيجابًا؟ أم أنَّ خطأً ما وقع، ويجب تصحيحه؟ أم أنَّ أمرًا غامضًا لا بدَّ من توضيحه؟

كل هذه الأسئلة قد تكون محفزاتٍ على الوصول إلى فكرة الكتابة.

فـإذا ما وصلنا إلى هـذه النقطة، نقطة القصد والرغبـة في الكتابة، فإنَّ أسئلة أخرى تستثار، ومن أهمها:

١- هل أصلح أنا للكتابة في هذا الموضوع؟

٢- هل هو في صميم تخصصي؟

٣- ما مدى قدرتي العلمية للإحاطة بالموضوع؟

٤- ما مدى قدرتي البيانية على تجلية الموضوع؟

٥- هل تستطيع خبرتي وتجربتي وثقافتي، المساعدة في الوصول إلى النجاح في معالجة هذا الموضوع؟

٦- هل أكون مقنعًا وقادرًا على الوصول إلى عقول الآخرين وقلوبهم؟

إذا أثـارت هـذه الأسئلة إجابـات تثير الرضا والقبول لـدى المتسائل، فإنَّ عليه أن يبدأ مشروعه الكتابي.

ولا يعنـي هذا أنَّ بدايـة المشروع تعنـي النجاح، فقد يتعـثر الكاتب مرارًا، وقـد يقترب من الهزيمة، ولكن الدافعية المحفِّزة إذا استمرت في دفعها، وقوتها، ونشاطها، واستمر الكاتب في قناعاته، ومعاناته، فإنَّ مركبه سيصل -بإذن الله- إلى شاطئ النجاة، وأن يصل متأخرًا خيرٌ له من ألا يصل أبدًا.

الكتابة فنٌّ المعانـاة، لا تتأتّى بسهولة ويُسر، صحيح أنها تُسلسُ القياد بعد طـول مـران وتدريب، ولكنها لا تُسلمُ قيادها إلاَّ بعـد طول مشاكسة وتحدٍّ، وبعد شدٍّ وجذب، وشماس ومصاولة.

ومـع ذلك فـإنَّ سلاستها المتخيلـة لا تعني على الإطـلاق أنَّ الكاتب الذي مهـر في الكتابة أيًّا كان نوعها، وعبرَ أساليبها، وملكَ بعض ناصيتها، وأصبحت فنّـه، وعشقه، ومهنته التي أعطاها عمره، أنه أصبـح صاحب أمرها، والمتحكم بتصريفها، وأنها تسلـم له نفسها طواعية، وتغدو مأمورة بأمره، ومنهية بنهيه، وخادمـة مطيعـةً لبنانه وقلمه، لا، ليـس هذا يسيرًا، ولا يقـع في دائرة الإمكان دائمًـا، بل إنَّ الكتابة تكون أحيانًا أشـدَّ مصاولة، وأقوى مشامسة، فتخذله وهو الكاتـب الفذ، وتسخر منه وهو الشاعر المبـدع، وتتلجلج في صدره وهو الخطيب المصقـع، تُدبـر وهو مقبـل، وتنأى وهو يظنهـا ملك قبضته، يطلبهـا فتقصيه، ويتلطـف إليها فتعصيـه، ترفض مواعيده وهـو الذي يظنُّ أنّهـا موافقة، وتردُّ دعوته وهو يرى أنّها موائمة، وتتأبّى على الإتيان، وتستحلي العصيان.

وكلامنـا هذا ليس كلامًـا إنشائيًّـا، ولا تهويمات خيال شاعـر، وإنمَّا هي حقيقة الكتابة، وما شهد به الكتّاب والأدباء والشعراءُ أنفسهم، من خلال وقائع وقعـت بهم، وحوادث حدثت لهم، وعوائـق وقفت دونهم والكتابة، فسدَّت عليهم الطـرق، وضيَّقت بهم المضايق، حيث كانت الرغبة في الكتابة أو القول حاضرة، والنفوس إليها ظامئة، فتأبَّـت عليهم، وامتنعت من حضـور مشهدهم، وسدَّت أذنيها عن سماعهم، و الإصغاء إليهم.

يقول الفرزدق[1]: (يأتي عليَّ حين وقلع ضرس أهون عليَّ من قول بيت شعر) فإذا كان الشعر يستعصي على الفرزدق الذي قال فيه أبو عمرو بن العلاء[2]: (لو ذهب شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) فما بالك بعامة الشعراء والكتاب؟

مفاتيح الكتابة والإبداع الأدبي:

فإغلاق باب الكتابة إذن وارد حتى على الماهرين فيه، وفتحه يحتاج إلى مفاتيح، ولعل فيما أورده عبد الحميد الكاتب من نصائح لمن يقبل على الكتابة، وفي وصية أبي تمام للبحتري في عمل الشعر، ما يضع يدنا على هذه المفاتيح التي تفتح لنا مغاليق الإبداع.

ومن خلال هذه الوصية نستخلص بعض المفاتيح التي وضعها هذا الشاعر الكبير بين يدي البحتري، وكان وقتئذٍ ناشئًا، وهي:

١- اختيار الوقت المناسب للكتابة.

٢- مواءمة الحال للمقال براحة الجسد وفراغ البال.

٣- موافقة الألفاظ والمعاني للغرض المطروق، والموضوع المقصود.

٤- البعد عن المعاني الساقطة والألفاظ الغريبة الغامضة.

٥- التنظيم والترتيب والتنسيق، ومعاودة النظر، والمراجعة.

٦- عدم كدِّ النفس وإرهاقها، وإجبارها على الكتابة.

٧- الإحساس والشعور بالموضوع المقصود، والرغبة إليه، وهو ما يُسمى بالتجربة الشعورية.

٨- الثقافة النقدية، وموازنة أعمالنا الإبداعية بأعمال المبدعين المجيدين ممن سبق.

---

(١) العمدة ١/ ٦٦.

(٢) المصدر نفسه ١/٦٦ .

آلات الكتابة الإبداعية وأدواتها:

نصَّ كثيرٌ من الكتاب على الأدوات والآلات المعينة للكاتب المبدع في الشعر والنثر، وقد جمعها ابن الأثير في مقدمة كتابه المثل «السائر في أدب الكاتب والشاعر» في ثماني آلات، هي[1]:

(معرفة علم العربية، وما يحتاج إليه من اللغة، وأمثال العرب وأيامهم، وكلام المتقدمين من المنظوم والمنثور، ومعرفة الأحكام السلطانية، وحفظ القرآن الكريم، وحفظ الأخبار النبوية، وعلمي العروض والقافية للناظم دون الناثر) وبعد هذه، فإنَّ ابن الأثير يعبر بالكاتب إلى كل فن وثقافة ومعرفة شمولية، فنجاح الكاتب لا يتوقف عند حد إبداعه أو معرفته بما ذكر؛ لأنَّ الكتابة الإبداعية تحتاج في نجاحها إلى صدق التعبير عن كل أمرٍ تتعرّض له، ولذلك يرى أنَّ «صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون، حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء، والماشطة،عند جلوة العروس، وإلى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة، فما ظنك بما فوق هذا، والسبب في ذلك أنه مؤهل لأن يهيم في كل وادٍ، فيحتاج أن يتعلق بكل فن».

ويعلِّل ابن سنان الخفاجي ضرورة هذه المعرفة الشمولية، فيقول[2]:

(وبالجملة إن مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم واطلع على كل صناعة، لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه؛ لأنه يدفع إلى أشياء يصفها، فإذا خبر كل شيء وتحققه كان وصفه له أسهل ونعته أمكن، إلا أن المقصود في هذا الموضع بيان ما لا يسعه جهله دون ما إذا علمه أثر عنده علمه، فإن ذلك لا يقف على غاية).

---

(١) المثل السائر ١/٧٣.

(٢) سر الفصاحة ١/١٠٠.

الفصل الثاني

الشـــــــعر

ويتضمن:

١- مكانة الشعر.

٢- تسمية الشعر.

٣- قوام الشعر وحدُّه.

٤- أجزاء الشعر.

٥- أهمية الشعر.

٦- عصور الشعر.

٧- مدارس الشعر واتجاهاته.

٨- نماذج شعرية.

obeikandl.com

obeikandl.com

مكانة الشعر:

مكانة الشعرعند العرب تظهر من خلال مقولة (الشعر ديوان العرب[١]) وقد تكرر هذا المعنى عند نقدة الشعر وأربابه، من ذلك قول ابن سلام الجمحي[٢]: **(كان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون)**. وهو عند ابن قتيبة[٣]: **(الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها)**.

ويرى أبو هلال العسكري أنَّ[٤]: **(الشعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها)**. أما عند ابن فارس، فإنَّ **(الشعر ديوان العرب، به حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، وتعلمت اللغة)**.

كما يقول ابن رشيق[٥]: **(أكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وهو مجمع البلاغة وحافظ الأنساب، ومسجل المفاخر، وأنيس العابر والسامر، به تزهو المجالس، وتنتظم النفائس، وهو أولاً وأخيرًا نبع فياض من ينابيع اللغة، به نستسهل وعرها، ونلتذ صعبها، ونعرف غامضها)** يقول ابن عباس رضي الله عنه: **(إذا قرأتم شيئًا من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب، وكان إذا سئل عن شيءٍ أجاب شعرًا)**.

والشعر مُدْرَكٌ ومُدْرِك، فنحن ندرك ألفاظه ومعانيه، وأغراضه ومراميه، وهو يدرك حاجاتنا ورغباتنا، ويصل إلى مداركنا ومشاعرنا، ويبلغ بنا إلى الوصول إلى غاياتنا وأهدافنا.

---

(١) العمدة ١/٤.

(٢) طبقات فحول الشعراء ١/٤.

(٣) كتاب الصناعتين ١/ ١٢٣.

(٤) الصاحب ١/١٤.

(٥) العمدة ١/٣.

تسمية الشعر:

جاء في سر الفصاحة [1]: (وسمي شعرًا من قولهم: شَعَرْتُ، بمعنى: فطنت. والشعر: الفطنة، كأن الشاعر عندهم قد فطن لتأليف الكلام).

وجاء في نضرة الإغريض [2]: «إنّ اشتقاقَ لفظةِ الشّعرِ من العلمِ والإدراكِ والفطنةِ تقول: ليْتَ شِعْري هلْ أصابَ صوْبُ السماءِ منازِلَ أسماءَ، أي ليت علمي».

وقال أيضًا: «وسُمّي الشاعرُ شاعرًا لعلمه وفطنتِه».

وأما كونُهم سمّوا الشعرَ قريضًا فلأنّ اشتقاقه من القَرْضِ وهو القطْعُ؛ لأنه يُقَرَضُ من الكلامِ قرْضًا، أي يقطعُ منه قَطْعًا كما يُقَرَضُ الشيءُ بالمِقْراض. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي تجوزُهُم وتَدَعُهُم على أحدِ الجانبين.

قال عبد العزيز بن حاتم بن النعمان بن الأحمر، وكان يهاجي الفرزدق:

أنفي قَذَى الشّعرِ عنهُ حينَ أقْرُضُه ... فما بِشعْريَ من عيْبٍ ولا ذامِ
كأنّما أصْطَفي شِعري وأغرِفُه ... من مَوْجِ بحْرٍ غزيرٍ زاخرٍ طامِ
منهُ غرائِبُ أمثالٍ مُشهَّرةٍ ... ملمومةٍ، إنها رَصْفي وإحكامي

وأما القصيدُ، وهو جمْعُ قصيدةٍ مثل سَفين جمع سَفينة، فإنما اشتُقّتْ لفظتها من القِصّدَة وهي القِطْعة من الشيء إذا تكسّرَ كأنها قِطعةٌ من الكلام. ومن ذلك رُمْحٌ قِصَدٌ وقد تقصّدَ إذا صار قِطَعًا. قال المُسيَّبُ بنُ عَلَس:

---

(١) سر الفصاحة ١/٩٨.

(٢) نضرة الإغريض ١/ ٢.

فَلأُهدِيَنّ مع الرِّياحِ قصيدةً ... مني مُغلْغَلَةً الى القَعْقاعِ
تـرِدُ المياهَ فلا تـزالُ غريبةً ... في القَوْمِ بين تمثُّلٍ وسَماعِ

وأما تسميتُهُم القصيدةَ قافيةً، فلأن القافيةَ تقفو البيتَ أي تتبعُهُ، وسمّوا الجميعَ باسم واحدٍ إيجازًا واختصارًا، كما سمّوا القصيدةَ بجملتها كلمةً، والكلمةُ اللفظةُ الواحدة، ميلاً الى اختصار الكلام، وإخلادًا الى ما يدلُ فيه على التمام. قالت الخنساء:

وقافيةٍ مثل حدِّ السِّنانِ ... تبْقَى ويهلِكُ مَنْ قالَها
نطقتَ ابنَ عمروٍ، فسهّلْتَها ... ولمْ ينْطِقِ الناسُ أمْثالَها

وأقول: (إنّ الشعرَ عبارةٌ عن ألفاظٍ منظومة تدلُّ على معانٍ مفهومة، وإن شئتَ قلت: الشعرُ عبارةٌ عن ألفاظ منضودة، تدلُ على معانٍ مقصودة).

قوام الشعر وحدُّه:

وجاء في العمدة [1]: **(الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر)** وقال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة: **الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه ؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز.**

ويرى ابن رشيق عدم تأتي الشعر للشاعر في كل آن، يقول [2]:

---

(١) العمدة ١/٣٧.

(٢) المصدر نفسه ١/٦٦.

(لا بد للشاعر. وإن كان فحلاً، حاذقًا، مبرزًا، مقدمًا. من فترة تعرض له في بعض الأوقات: إما لشغل يسير، أو موت قريحة، أو نبو طبع في تلك الساعة أو ذلك الحين. وقد كان الفرزدق، وهو فحل مضر في زمانه يقول: تمرّ علي الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون علي من عمل بيت من الشعر.

أمَّا الوزن فهو موسيقى الشعر التي بها تتم أجزاؤه، جاء في كتاب التعريفات للجرجاني[1]:

أجزاء الشعر:

هي ما يتركب الشعر منها، وهي ثمانية: فاعلن، وفعولن، ومفاعيلن، ومستفعلن، وفاعلاتن، ومفعولات، ومفاعلتن، ومتفاعلن.

قال أبو عبيدة [2]: **(سمعت أبا عمر يقول: زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر؛ لأنَّهم نقَّحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين).**

وقال سويد بن كراع[3]:

أبيتُ بأبواب القوافي كأنمَّا ... أُصادي بها سِربًا منَ الوحشِ نُزَّعا

أهمّية الشعر:

تبدو أهمية الشعر من قول رسول الله ﷺ: **«إنَّ من الشعر لحكمة، وإنَّ من البيان لسحرًا[4]».**

---

(١) التعريفات مادة شعر.

(٢) الشعر والشعراء ١/٢٣.

(٣) الأغاني ١١/ ١٢٩ والمصاداة: المداراة.

(٤) صحيح البخاري رقم ٥١٤٦ وسنن أبي داود رقم ٥٠٠٩.

obeikandi.com

ويقـول عمر بن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نِعْمَ ما تعلَّمته العـرب الأبيات، يقدّمها الرجل أمام حاجته، فيستنـزل بها الكريم، ويستعطف بها اللّئيم[1]).

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]: (الشعر ميزان القول).

والشعـر له مزايا عظيمة، وسلطـانٌ مؤثِّر على النفوس، فكان يرفع ويضع، ويُعلي ويُدني، من ذلك قصة الحطيئة وبني أنف الناقة الذين كانوا يخجلون من هذا الاسم، حتى قال فيهم الحطيئة[3]:

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهمُ ومن يُسوّي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يفتخرون بهذا الاسم.

وقصّة الأعشى مع المحلّق تدل على من كان خاملاً فقيرًا مكثرًا من البنات اللاتي كبرن ولم يتزوجن، فرفعه الشعر، (وذلك أنَّ الأعشى قدم مكة، وتسامع به الناس... فسبق إليه المحلّق، وأنزله، ونحر له.. فلما أكل الأعشى وأصحابه... سألـه عن حاله وعياله، فعرف البؤس في كلامه، وذكـر البنات، فقال الأعشى: كفيت أمرهنّ. فأصبح بعكاظ يُنشد قصيدته:

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرّق وما بي من سقم وما بيَ معشقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس.. إلى أن سمع:

نفى الـذمَّ عن آل المحلّق جفنةٌ كجابية السيح العراقي تفهق
لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضـوء نـار بـاليـفاع تُحـرّق
تشـبُّ لمقـرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّقُ

---

(١) العمدة ١/ ٨٦.

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٠.

(٣) العمدة ١/ ١١.

فمـا أتمَّ القصيدة إلاَّ والنّاس ينسلّون للمحلّـق يهنّئونه، والأشراف من كل قبيلـة يتسابقون إليه جريًا يخطبون بناته؛ لمكان شعر الأعشى، ولم تُمس واحدةٌ منهنَّ إلاّ في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف [١]).

وفي ذلـك يقول ابن رشيق[٢]: (**كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شـاعر أتـت القبائـل فهنأتهـا، وصـنعت الأطعمـة واجتمـع النسـاء يلعـبن بالمزاهـر، كما يصـنعون في الأعراس، ويتباشـر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضـهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم، وكانو لايهنئون إلاّ بغلام وُلِد، أو شاعر ينبغ أو فرس ينتج**[٣]).

عصور الشعر:

قد مرَّ الشعر في عصور من القديم للحديث، زها في الكثير منها، وخبا في بعضها، وعصور الشعر، هي:

العصر الجاهلي:

يمتد هذا العصر في حدود ١٥٠ إلى ٢٠٠ سنة قبل الإسلام، يقول الجاحظ[٤]: (**أما الشـعر فحديث الميلاد صغير السـن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجْر ومهلهل بن ربيعـة... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له. إلى أن جاء الله بالإسلام. خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام**).

---

(١) المصـدر نفسه ١/ ١٢٣ – ١٢٥والجفنة القصعة التي يقدم فيها الطعام. والجابية: الحوض الذي تشـرب منه الإبـل، والسيح: النهر، وتروى الشيـخ. وتفهق: تمتلئ وتتصبب. والمقـرور: من أصابه البرد.

(٢) العمدة ١/١٧.

(٣) العمدة ١ / ١٥٣.

(٤) المصدر نفسه ١/١٥٣.

obeikandl.com

ومـن أشهر شعراء هذا العصـر، المتفق عليهم، الذين أرسوا أسس الشعر الجاهلـي، وأوجدوا سننًا ثابتة له، وأغنوا الشعـر بالأساليب الجيدة إلى جانب أنهم أصحاب القصائد المطولة هم: امرؤ القيس، والنابغـة، وزهير بن أبي سلمى، والأعشـى (ميمون بن قيس)، ولبيد بن ربيعـة، وطرفة بن العبد، والحارث بن حلزة اليشكري، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد وعبيد بن الأبرص.

وأهـم مصادر الشعر الجاهلي:

المعلقـات، والمفضليات، والأصمعيات، وجمهرة أشعـار العرب، ثم دواوين الحماسة كحماسة: أبي تمام، والبحتري، والبصري، وابن الشجري.

وكذلك دواوين القبائل والشعراء، ثم كتب الثقافة العامة، ككتاب النقائض والكامـل والحيوان والمعارف وطبقـات فحول الشعراء والشعـر والشعراء وكتب الآمالي وغير ذلك.

والشعر الجاهلي في عمومه: شعر جزلٌ، متين السبك، تام الأجزاء، واضح العبـارة، كان يسـير في غالبه على طريقة ممهدة، من ذكـر الأطلال، وبكائها، والغـزل بالحبيبة، والخروج بعد ذلك للغرضـ الذي يقصده الشاعر من: مدح، أو فخر، أو هجاء.. إلخ.

العصر الإسلامي:

يمتد هـذا العصر منذ بزوغ فجر الإسلام إلى نهايـة الدولة الأموية عام١٣٢هـ وهذا مـا اتفق عليه أغلب مؤرخـي الأدب، وبعضهم يقسمـه إلى عصرين: الإسلامي الذي ينتهي بنهاية فترة الخلفاء الراشدين، أي في سنة٤١هـ، والأموي، وينتهي بسقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ، ولكل فترة من هاتين الفترتين سمات تميز بها الشعر.

ففي الفترة الأولى كان الشعر يسير مواكبًا التشريع الإسلامي، ومن خلال توجيهات الرسول ﷺ بدأ الشعر يتخلى عن كثير من القيم الجاهلية التي كانت تحكمه، إلى جانب أن الشعر بدأ يواكب الأحداث الإسلامية مثل الفتوحات الإسلامية، ووفاة الرسول ﷺ، والخلفاء من بعده، ولذلك فإن قيم الشعر ومعانيه وألفاظه تمثلت قيم الإسلام، وسارت على نهجه، وظهر التأثر بمعاني وألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في معاني الشعر وألفاظه.

ومن أشهر شعراء هذه الفترة: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله ابن رواحة.

أما الفترة الثانية التي تمثل عهد الانقسام في الأمة، وبخاصة في بدايتها، فقد عاد بعض الشعر إلى القيم الجاهلية، قيم القبيلة، كما ظهر نوع جديد، أو غرض جديد في الشعر وهو الشعر السياسي الذي يؤيد فكرة أو حزبًا معينًا، فكان هناك من الشعراء الذين يؤيدون الأمويين، أو الزبيريين، أو من يظهر ولاءه لآل البيت، أو من يدعي فكر الخوارج، وكانت حركة الشعر موّارة، فكانت هذه الفترة من أخصب فترات الشعر.

وأشهر شعراء هذه الفترة: جرير، والفرزدق، والأخطل، وذو الرمة، وعمر ابن أبي ربيعة وكثير عزة وجميل بن معمر، وعدي بن الرقاع، والكميت، وكثير عزة، وغيرهم كثير.

العصر العباسي:

هو العصر الذي يبدأ بسقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ وينتهي بسقوط الدولة العباسية عام ٦٥٦هـ فخمسة قرون هي عمر هذا العصر، استقر فيه الشعر، وأخذ بزخرف الحضارة، وظهرت عليه مظاهر التجديد، مضمونًا وشكلاً وتمثل ذلك في: العرض، والفكرة، والألفاظ، والشكل، والموضوع، فظهر

الشعر التعليمي، والقصصي، وظهرت بعض أغراض جديدة، كالغزل بالمذكر، إلى جانب ظهور بعض الثقافات التي انصهرت مع الثقافة العربية الإسلامية، مثل: الثقافة الفارسية والهندية واليونانية والرومانية، وهذا التقدم العلمي في ظل استقرار سياسي، وازدهار اقتصادي، كل ذلك أدّى إلى نهضة شعرية، جعلت هذا العصر هو عصر الازدهار الحقيقي للشعر. فظهر شعراء كبار من أمثال: بشار بن برد، وأبو تمام، والبحتري، وعلي بن الجهم، وجاء بعدهم المتنبي والشريف الرضي، وأبو فراس الحمداني، ثمّ أبو العلاء المعري، وعدد وفير لا يتسع المقام لذكر من أبدعوا الشعر في هذا العصر.

ويُضاف إليه ما أبدعه شعراء الأندلس والمغرب وصقلية في ميادين الشعر المختلفة، وما تميزت به تلك البيئات عن بيئة المشرق، حيث تميزت بشعر الموشحات، والتوسع في شعر الطبيعة، والتغني بجمالها.

ومن أعظم شعراء تلك البيئة: ابن دراج القسطلي، وابن زيدون، وابن حمديس الصقلي، وابن سهل، وابن اللبانة، والمعتمد بن عبّاد، وغيرهم كثير.

عصر الدول المتتابعة أو العصر الوسيط:

يبدأ من سقوط بغداد، ويستمر حتى بدايات عصر النهضة، أو ما يسمى بالعصر الحديث.

يتهم هذا العصر بالضعف، ويوصف شعره بالتقليد والجفاف، على الرغم من أن هذه المقولة ليست صحيحة على إطلاقها، فقد وجد في هذا العصر من الشعر والشعراء في قرونه المتتالية ما يؤكد على أن شعرنا العربي ظلّ في كل عصوره يزهو بالنضارة، ويتمتع بالقوة، على الرغم من بعض المظاهر التي اعترته في أواخر هذا العصر، وذلك راجع إلى ضعف الدول الإسلامية،

والحـروب التي أنهكتها، والظروف الاقتصادية السيئة التي مرَّت بها، ومع ذلك فقـد استطاع الشعر في هـذا العصر أن يعبّر عن نفسه وعن العصر خير تعبير، ومن أشهر موضوعات العصر شعر المديح النبوي، وتنقل لنا كتب التراجم مثل: كتـاب خريدة القصر وجريدة العصر للعمـاد الأصفهاني، وكتاب دمية القصر للباخرزي، وكتاب نفحة الريحانة للمحبي، عددًا وفيرًا من أسماء الشعراء الذين ظهروا في هذا العصر، نذكر منهم على سبيل المثال في بداياته: ابن القيسراني، وابن منير الطرابلسي، وأبو إسحق إبراهيم الغزي، والحيص بيص، وابن قسيم الحمـوي، وابن الساعاتـي، وابن عنين، وشهاب الديـن التلعفري، والبوصيرى، وابـن دقيـق العيـد، وصفـي الدين الحلـي، وابن جابـر الأندلسـي، وابن حجة الحموي، والبهاء زهير، وابن الساعاتي، وغيرهم كثير.

الشعر الحديث والمعاصر:

مـع نهايـة القرن الثامن عشر الميـلادي وبداية القرن التاسـع عشر بدأت حركـة النهضة الإصلاحية في الوطن العربي، على الرغم من الظروف الصعبة التي كان يمر بها من الضعف وتردي التعليم، ومواجهة الاستعمار الغربي، وكان الاحتـكاك بهم مثـار تأثر ومحـاكاة، وفي الوقت نفسه مثار تحـدٍّ وإثبات كيان، ولذلـك فقد طغت على الشعر روح الاتصال بالتراث القديم ومعارضته وتقليده، والبحـث عن دُرَرِه، ومن هنا عكف محمود سامي البارودي على اختيار مجموعة كبـيرة من شعر شعرائنـا القدامى، أثبتها في مختاراته التـي كانت عنوانًا على روعة شعرنا القديم وبهائه، ونموذجًا للشباب الطامح إلى نهضة شعرية أساسها التواصـل بين الماضـي والحاضر، وكان أثر البارودي وأثـر مختاراته فيمن جاء بعده من الشعراء واضحًا.

ويأتي أحمد شوقي فينهل من التراث، ويستفيد من الطرائق الجديدة في الشعر الغربي، ولكنه مع بعض لمحات التأثر بالشعر الفرنسي أو الإنجليزي ظل محافظًا على أصالة القول في جزالة لفظية، ومحافظة موضوعية. وتموج الساحة الشعرية العربية بإعداد كثيرة من الشعراء في مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة والمغرب العربي، فيظهر في مصر: إسماعيل صبري، وحافظ إبراهيم، ويظهر في لبنان: خليل مطران، وبشارة الخوري، وفي العراق: معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي، وفي سوريا: بدوي الجبل، وعمر أبو ريشة، وفي فلسطين: إبراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود ، وفي الأردن: مصطفى وهبي التل (عرار) وفي السعودية يظهر: محمد حسن عواد، وأحمد عبد الغفور عطار، وفي الكويت: فهد العسكر، وفي البحرين: إبراهيم العريض، وفي الجزائر: عبدالقادر الجزائري، وفي تونس أبو القاسم الشابي، وتظهر الاتجاهات الأدبية، مثل مدرسة المهجر، ويتمثل فيها مجموعة من شعراء الشام: كإيليا أبي ماضي، وجبران خليل جبران، وإلياس شبكة، وميخائيل نعيمة، والشاعر القروي، وأبو الفضل الوليد، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب، وفوزي المعلوف، وإلى جانبها مدرسة الديوان التي تمثّلت في العقاد وعبد الرحمن شكري، وإبراهيم عبدالقادر المازني، وكذلك مدرسة أبولو التي تمثلت في خليل مطران، وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه. وظهر الشعر التجديدي المعاصر على أيدي مجموعة من شعراء العراق مثل: نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، وفي سوريا: نزار قباني، واستمر مرير مدرسة التحديث الشعري في مصر على أيدي: أمل دنقل، وصلاح عبدالصبور، وفي فلسطين: محمود درويش، وسميح القاسم، وامتلأت الساحة العربية بطولها وعرضها بالشعراء على اختلاف الرؤية التجديدية لديهم، ولكن الغالب على شعر هذه الفترة الرمز والغموض، والحداثة التي فتكت بالشعر فتكًا، ولكن الأمور المهمة التي تعرّض لها وطننا العربي بدأت

تعيـد للشعر رونقه وإشراقه، وبخاصة بعد الانتفاضة الفلسطينية المباركة، فقد أحدثت هذه الانتفاضة انتفاضة شعرية مقابلة، اشترك فيها أكثر شعراء العرب على اختلاف اتجاهاتهم وأقطارهم.

مدارسه واتجاهاته:

مر الشعـر الحديث والمعاصر في مخاضات عديـدة نتيجة لظروف لازمت الشعر، وأثرت فيه تأثيرًا كبيرًا، فبداية النهضة، والاتصال بالحضارة الغربية، وموجـة الاستعمار التي اكتسحت البـلاد العربية، وبخاصة بعـد سقوط الدولة العثمانيـة، وانتصـار الحلفاء في الحرب العالميـة الأولى، ووقوع كثير من أجزاء الوطـن العربـي فريسـة الاستعمـار البريطـاني والفرنسي والإيطـالي، وظهور حـركات التحرر الوطني، والجهـاد من أجل الحرية والاستقـلال، والدعوة إلى التعليـم، كلُّ ذلك أثر في اتجاهات الشعر، فظهرت آراء ومدارس تبين عن توجه الشعـر، ورؤية الشعراء لوظيفة الشعر، ولمـا كنا لا نريد التعمق في هذا الموضوع كونـه موضوعًا تخصصيًّا، فسنوجز الكلام في مدارس الشعر العربي في الشعر الحديـث والمعاصر إيجازًا يُلِـمُّ بها، وسنتناول هذه المدارس كالآتي: (المدرسة المحافظة، والمدرسة التأثرية، وتتضمن هذه المدرسة ما سمي بمدرسة: الديوان، وأبولو، والمهجر، والشعر الحر).

المدرسـة المحافظـة: قـد تمثلت هـذه المدرسـة في شعراء الريـادة الذين انطلقوا في أشعارهم من خلال قيم الشعر القديم، متمثلين: أغراضه، وأشكاله، ومضامينه، ومنطلقين من رؤى نقاده في نظرتهم لجودة الشعر وجزالته، وقوته، فظهرت طرائقه، وأساليبه، وألفاظه ومعانيه واضحة بينة في أشعار شعراء هذه المدرسـة، ومن أعلام هذه المدرسة: محمود سامي البارودي، ومن جاء بعده من الشعراء الكبار، وهم أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران.

وكان إحيـاء القصيـدة العربية على يد محمود سامـي البارودي وناصيف اليازجـي لم يكن فقط دفع الدم في عروق الشعـر الباردة التي أصابها الجفاف نتيجـة ظـروف عديدة من التدهـور السياسـي والعلمي والاجتماعـي في العالم العربـي، ولكنـه كان يصب في نهضة الأمـة ولغتها، والوقـوف في وجه أعدائها، وغزوهـم الثقـافي، واستوى هذا الاتجاه على عوده على يـد أمير الشعراء أحمد شوقـي وحافظ إبراهيـم، وبشارة الخـوري «الأخطل الصغـير» ومحمد مهدي الجواهـري، وإبراهيـم طوقـان، وعبـد الرحيم محمـود، وغيرهم مـن شعراء المغرب والجزائر.

المدرسة التأثرية: وهي تلك الاتجاهات المتأثرة بالشعر الغربي ومدارسه، وقـد أُطلق عليها في وطننا العربي، مدارس: (الديوان، وأبولو، والمهجر، والشعر الحـر) والمدارس الثلاثة الأولى تكاد تتفق فيما بينهـا من حيث التوجه والرؤية للشعـر، وإن كانت مدرسة المهجر لها ميزة البعد والغربة، والاختلاف في البيئة. وسنقدم لكل واحدة منها بتعريف موجز:

أ. مدرسـة الديوان: كان ائتلاف مجموعة من الشعراء والكتاب الكبار في مصر نحو رؤية تجديدية للأدب ما جمعهم على تكوين اتجاه نقدي سمّوه بمدرسة الديوان، وتكوّنت هذه المدرسة من ثلاثة من كبار أدباء مصر، هم: عبد الرحمن شكـري، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، واستطاعت هذه المدرسة بعطاءتها النقدية والإبداعية أن تثري الساحة الأدبية.

وقـد تأثرت هذه المدرسـة بالرومانسية الإنجليزية، وتطبعـت بطابعها، ومن أهم المؤثرات، موقفهم من جوهر الشعر الذي هو انعكاس لما في النفس من أحاسيس ومشاعـر، وموقفهم مـن تحديد وظيفة الشعـر وأهدافه التي تنبـع في الكشف عن

مظاهر الجمال في الوجود الإنساني إلى جانب توفير المتعة للقارئ، ووظيفته تتحدّد في الكشف عن الحقائق الطبيعية التي يقوم عليها نظام الحياة الإنسانية.

والتجديد في الشكل والمضمون في رأي مدرسة الديوان لا يعني الحديث عن الموضوعات العصرية، ولكن في الكيفية التي يتم بها الحديث.

ومن أهم رؤاهم النقدية الوحدة العضوية للقصيدة أي بناء القصيدة بناء هندسيًّا، فتكون القصيدة مثل الكائن العضوي في ترابط أعضائها، وكذلك القصيدة في ترابط أبياتها.

ب. **مدرسة أبولو:** كان مؤسس هذه المدرسة هو الدكتور أحمد زكي أبو شادي، وضمّت مجموعة من الأدباء، وأصدروا مجلة تحمل اسم أبولو، واختير أحمد شوقي رئيسًا لها، ثم أعقبه خليل مطران، ومن أعضائها إبراهيم ناجي، والغاياتي، والصيرفي والشايب، ومحمود حسن إسماعيل، والمهندس علي محمود طه.

وأهم ما دعت إليه هذه المدرسة هو:

- إظهار المواهب الفردية المتنوعة.
- الاعتداد بالطبيعة وظهورها في الشعر.
- لم تتبنَّ فكرة نقدية أو مذهبًا شعريًّا تتعصب له، وإنما دعت إلى كل المحاولات الشعرية والآراء التجديدية.

جـ. **مدرسة المهجر:** نعني بها مجموعة الشعراء الشاميين الذين هاجروا إلى الأمريكتين الشمالية والجنوبية، وكوَّن الشماليون مدرسة المهجر على يد أمين الريحاني، وسمّيت بالرابطة القلمية، ومن أعلامها: جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب وغيرهم، وقد ظهرت دعوتها في الهجوم على شكل القصيدة العربية، والدعوة إلى شعر جديد

في: شكله، ومضمونه، ولغته، وأسلوبه.

أما مدرسة المهجر الجنوبي فظهرت عام ١٩٣٢م وسمّيت بالعصبة الأندلسية، وكانت أكثر محافظة من الرابطة القلمية، ومن أشهر أعضائها: رئيسها ميشال معلوف، وداود شكور، وحسني غراب، ويوسف غانم، والشاعر القروي رشيد سليم الخوري، وشفيق المعلوف، وإلياس فرحان، وغيرهم.

د. **الشعر الحر**: الشكل التقليدي للقصيدة العربية الذي يتمثّل في وحدة الوزن والقافية، والبيت المستقل والمتحد في المعنى المقسوم إلى شطرين متساويين أي الصدر والعجز ظلَّ السمة الغالبة على الأسلوب الشعري المتبع عند شعراء العربية حتى نهاية الأربعينيات ومن القرن العشرين الميلادي.

ثمَّ بدأ اتجاه جديد في الشعر له رؤيته التي تنطلق من أنَّ القصيدة التقليدية تفرض على الشاعر أعباء ثقيلة في الوزن والقافية، كما أن القصيدة الملتزمة بوحدة البيت تفقد الوحدة العضوية، وبذلك تفقد تسلسلها، ومن هنا بدأ هذا الاتجاه بإدخال تجارب قائمة على محاكاة الشعر الغربي، وبخاصة الشعر الإنجليزي والفرنسي.

يقول س. موريه عن هذا الانقلاب الشعري[١]: (وتعد هذه الثورة أول ثورة من نوعها في تاريخ الشعر العربي، يبلغ فيها التأثير الأجنبي درجة تكاد تصل بالشعر العربي الحديث إلى حالة من الانفصال التام عن ميراثه التقليدي).

ومن الشعراء الذين ثاروا على القافية والوزن، وبدؤوا يكتبون شعرًا لا تنتظم فيه القافية، أو عدد التفعيلات: نقولا فياض، وأبو شادي، وباكثير، ونازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وتبعهم كثير.

(١) الشعر العربي الحديث: ص ١١.

نصوص في فن الشعر ونقده:

جاء الشعر يعرض رؤيته للشعر، كما في قول الشاعر[1]:

الشعرُ لبُّ المرءِ يعرضه ... وتراه مثل مواقع النَّبلِ
منه المقصِّر عن رميّته ... ونوافذٌ يذهبن بالخصْلِ

وقول الآخر في كيفية الحكم على الشعر[2]:

يا أبا جعفر، أتحكم في الشِّعـ ... ـر ومـا فيك آلةُ الحكّامِ
إنّ نقد الدينار إلاّ على الصَّيْـ ... ـرف صعبٌ فكيف نقدُ الكلامِ
قد رأيناك ليس تفرقُ في الأشـ ... ـعار بينَ الأرواحِ والأجسامِ

يقول ابن طباطبا في عيار الشعر[3]: الشعر - أسعدك الله - كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجَّته الأسماع، وفسد على الذوق. ونظمه معلوم محدود، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه. وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه. فمن تعصَّت عليه أداة من أدواته، لم يكمل له ما يتكلفه منه، وبان الخلل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كل جهة.

---

(١) المصون في الأدب ٢/١.
(٢) المصدر نفسه ٢/١.
(٣) عيار الشعر ١/١.

فمنهـا: التوسـع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعـراب، والرواية لفنون الآداب، والمعرفـة بأيام النـاس وأنسابهم، ومناقبهم ومثالبهـم، والوقوف على مذاهـب العـرب في تأسيس الشعـر، والتصـرف في معانيـه، في كل فـن قالته العـرب فيـه؛ وسلوك مناهجهـا في صفاتهـا ومخاطباتها وحكاياتهـا وأمثالها، والسـنن المستدلة منها، وتعريضها، وإطنابها وتقصيرهـا، وإطالتها وإيجازها، ولطفها وخلابتهـا، وعذوبة ألفاظها، وجزالة معانيهـا وحسن مبانيها، وحلاوة مقاطعهـا، وإيفاء كل معنى حظه من العبـارة، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ، حتـى يبرز في أحسن زي وأبهى صـورة. واجتناب ما يشينه من سفساف الكلام وسخيف اللفظ، والمعاني المستبردة، والتشبيهات الكاذبة، والإشارات المجهولة، والأوصـاف البعيدة، والعبـارات الغثة، حتى لا يكون متفاوتًـا مرقوعًا، بل يكون كالسبيكـة المفرغة، والوشي المنمنـم والعقد المنظم، واللباس الرائق، فتسابق معانيـه ألفاظه، فيلتذ الفهم بحسـن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه، وتكون قوافيـه كالقوالب لمعانيه، وتكون قواعد للبنـاء يتركب عليها ويعلو فوقها، فيكون مـا قبلها مسوقًـا إليها، ولا تكون مسوقة إليه، فتقلـق في مواضعها، ولا توافق ما يتصـل بها، وتكون الألفاظ منقادة لما تراد له، غير مستكرهة، ولا متعبة، لطيفة الموالج، سهلة المخارج.

وجمـاع هـذه الأدوات كمال العقل الـذي به تتميز الأضـداد، ولزوم العدل وإيثار الحسن، واجتناب القبيح، ووضع الأشياء مواضعها.

وفي صناعة الشعر قال المُسيَّبُ بنُ عَلَس:

فَلأُهدِيَنّ مع الرِّياحِ قصيدةً ... مني مُغلْغَلَةً الى القَعْقاعِ

تـرِدُ الميـاهَ فلا تـزالُ غريبةً ... في القَـوْمِ بين تمثُّلٍ وسَماعِ

وقـد يَمتنع الشعر على قائلـه ولا يَسلس حتى يَبعثه خاطر يطربه، أو صوت حَمامة.

وقال الفرزدق: أنا أشعر الناس عند اليأس، وقد يأتي عليّ حين وقَلّع ضِرّس عندي أهون من قول بيت شِعر. وقال الراجز:

إنمـــا الشِّـعـر بـنـاءٌ ... يـبـتـنـيـه المُـبـتـنـونَـا
فـــإذا مـــا نـسـقـوه ... كـــان غَـثًّـا أو سـمـيـنـا
رُبمـــا واتـــاك حِـيـنـا ... ثـم يـسـتـصـعـب حِـيـنـا

وأسلس ما يكون الشعر في أول الليل قبل الكَرى، وأول النهار قبل الغداء، وعند مفاجأة النفس واجتماع الفكر. وأقوى ما يكون الشعر عندي على قَدر قُوة أسباب الرغبة أو الرهبة.

قيـل للخُريمـي: ما بـال مدائحك لمحمد بـن مَنصور بن زيـاد أحسنُ من مَراثيـك؟ قال: كُنـا حينئذ نعمل على الرجـاء، ونحن اليوم نَعمـل على الوفاء، وبينهما بَوْن بعيد.

والدليـل على صحة هذا المعنى وصِدّق هذا القياس، أنّ كُثيّرَ عزّة والكُميت ابـن زيد كانا شِيعيّين غاليين في التشيع، وكانـت مدائحهما في بني أمية أشرفَ وأجود منها في بني هاشم، وما لذلك علّة إلا قوة أسباب الطمع.

وقيـل لكُثير عزّة: يـا أبا صخر، كيف تصنع إذا عسـر عليك الشعر؟ قال: أَطـوف في الرّباع المُحيلـة، والرِّياض المُعشبة، فإن نفرت عنـك القوافي، وأعيت عليـك المعـاني، فروّح قلبـك، وأجمّ ذهنـك، وارتصد لقولك فـراغَ بالك وسعة ذِهنك فإنك تجد في تلك الساعة ما يَمتنع عليك يومَك الأطول، وليلك الأجمع.

وجاء في العمدة [1]:

(وأنشد رجل قومًا شعرًا فاستغربوه، فقال: والله ما هو بغريب، ولكنكم في الأدب غرباء.

وعن غيره: أن رجلاً قال للطائي في مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد: يا أبا تمام، لم لا تقول من الشعر ما يفهم؟ فقال له: وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال؟! ففضحه».

وجاء في القافية قول ابن رشيق [2]: (القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرًا حتى يكون له وزن وقافية، هذا على رأي من رأى أن الشعر ما جاوز بيتًا واتفقت أوزانه وقوافيه ويستدل بأن المصرع أدخل في الشعر، وأقوى من غيره، وأما ما قد أراه فقد قدمته في باب الأوزان.

واختلف الناس في القافية ما هي؟ فقال الخليل: القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية على هذا المذهب، وهو الصحيح تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين، كقول امرئ القيس:

كجلمود صخر حطه السيل من علِ

وأنشد بعض العلماء ولم يذكر قائله:

الشعراء فاعلمن أربعه ... فشاعر لا يرتجى لمنفعه

وشاعر ينشط وسط المعمعه ... وشاعر آخر لا يجري معه

وشاعر يقال: خمر في دعه

---

(١) العمدة ١/٤٢.

(٢) العمدة ١/٤٨.

وهكذا رويتها عن أبي محمد عبد العزيز بن أبي سهل -رحمه الله- وبعض الناس يرويها على خلاف هذا.

وقد قيل: لا يزال المرء مستورًا وفي مندوحة ما لم يصنع شعرًا أو يؤلف كتابًا؛ لأن شعره ترجمان علمه، وتأليفه عنوان عقله.

وقال الجاحظ: من صنع شعرًا أو وضع كتابًا فقد استهدف؛ فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف.

قال حسان بن ثابت، وما أدراك ما هو؟:

وإن أشعر بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته: صدقا

وإنما الشعر لب المرء يعرضه ... على المجالس إن كيسًا وإن حمقا

وقال محمد بن مناذر، وكان إمامًا:

لا تقل شعرًا ولا تهمم به ... وإذا ما قلت شعرًا فأجد

وقال شيطان الشعراء دعبل بن علي:

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره ... ويكثر من أهل الروايات حامله

يموت ردي الشعر من قبل أهله ... وجيده يبقى وإن مات قائله

وقالوا في قدرة الشعراء وتصنيفهم [1]:

(الشعراء أربعة: شاعر خنذيذ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره، وسئل رؤبة عن الفحولة، قال: هم الرواة؛ وشاعر مفلق، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مجود كالخنذيذ في شعره؛ وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة؛ وشعرور، وهو لا شيء. قال بعض الشعراء لآخر هجاه:

---

(١) العمدة ١ / ٣٤- ٣٥.

يا رابع الشعراء، كيف هجوتني وزعمت أني مفحم لا أنطق

وقيل: بل هم شاعر مفلق، وشاعر مطلق، وشويعر، وشعرور، والمفلق: هو الذي يأتي في شعره بالفلق، وهو العجب، وقيل: الفلق الداهية قال الأصمعي: فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران، سماه بذلك امرؤ القيس، ومثل عبد العزى المعروف بالشويعر، وهو الذي يقول:

فنلت به ثأري، وأدركت ثورتي إذا ما تناسى ذحله كل غيهب

وهو الضعيف عن طلب ثأره، وروى بالغين معجمة وبالعين غير معجمة.

قال الجاحظ: والشويعر أيضًا صفوان بن عبد ياليل من بني سعد بن ليث، وقيل: اسمه ربيعة بن عثمان، وهو القائل:

وأفلتنا أبو ليلى طفيل صحيح الجلد من أثر السلاح

وقال بعضهم: شاعر، وشويعر، وشعرور.

وقال العبدي في شاعر يدعى المفوف من بني ضبة، ثم من بني حميس:

ألا تنهى سراة بني خميسٍ شويعرها فويلية الأفاعي

فسماه شويعرًا، وفالية الأفاعي: دويبة فوق الخنفساء، فصغرها أيضًا؛ تحقيرًا له وزعم الحاتمي أن النابغة سئل: من أشعر الناس؟ فقال: من استجيد جيده، وأضحك رديئه، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة؛ لأنه إذا أضحك رديئه كان من سفلة الشعراء، إلا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة، وقال الحطيئة:

الشعر صعب وطويل سلمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلَّت به إلى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

وإنما سمي الشاعر شاعرًا؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر؛ كان اسم الشاعر عليه مجازًا لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التقصير.

وقال بعضهم: الشعر شعران: جيد محكك، ورديء مضحك، ولا شيء أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط.

وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور:

عدمتك يا ابن أبي الطاهر، وأطعمت ثكلك من شاعر
فما أنت سخن ولا بارد وما بين ذين سوى الفاتر
وأنت كذاك تغثي النفو س تغثية الفاتر الخاثر

وقد يجوز أن يكون النابغة أشار فيما حكى عنه الحاتمي من الرديء المضحك إلى هذا النحو.

وقيل: عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر، ويقال: إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم، وأتعب أصحابه قلبًا من عرفه حق معرفته، وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كان دونهم بدرجات، وكيف إن قاربوهم أو كانوا منهم بسبب؟ وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة، أعني النقد ولا يشقون له غبارًا؛ لنفاذه فيها؛ وحذقه بها، وإجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله، كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه، حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته.

وحكـي أن رجلاً قال لخلف الأحمر: مـا أبالي إذا سمعت شعرًا استحسنته مـا قلت أنت وأصحابك فيـه!! فقال له: إذا أخذت درهمًـا تستحسنه، وقال لك الصيرفي إنه رديء هل ينفعك استحسانك إياه؟.

وقيـل للمفضل الضبي: لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به؟ قال: علمي به هو الذي يمنعني من قوله، وأنشد:

وقد يقرض الشعر البكي لسانه وتعيي القوافي المرء وهو لبيب

قيل: ودخل إسحاق بن إبراهيم الموصلي على الرشيد فقال: كيف حالك؟ فقال:

سوامي سوام المكثرين تجملا ومـالي كما قد تعلمين قليل
وآمرةٍ بالبخل قلت لها: اقصري فذلك شيءٌ مـا إليـه سبيل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمـير المؤمنـين جميل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلاً لـه في العالمين خليل

فقال الرشيد: هذا والله الشعر الذي صحّت معانيه وقويت أركانه ولذّ على أفواه القائلين وأسماع السامعين، يا غلام، احمل إليه خمسين ألف درهم.

نماذج شعرية:

١- نموذج من الشعر القديم:

ومن المنظوم المطمع الممتنع قول البحتري في مدح الخليفة العباسي المتوكل على الله [1]:

أيها العاتبُ الذي ليسَ يرضى نم هنيئًا فلستُ أطعم غمضًا
إنَّ لي من هواكَ وجدًا قد استهـ ـلكَ نومي ومضجعًا قد أقضًا

(١) ديوان البحتري ٢ / ١٢١٤ وكتاب الصناعتين ٢٢/١

فجفوني في عبرةٍ ليسَ ترقَا ... وفؤادي في لوعةٍ ما تقضَّى

يا قليلَ الإنصافِ، كم أقتضى عن ... دكَ وعدًا إنجازُهُ ليسَ يقضَى

فأجزني بالوصلِ إن كان جودًا ... وأثبني بالحبِّ إن كان قرضًا

بأبي شادنٌ تعلَّقَ قلبِي ... بجفونٍ فواتر اللّحظِ مرضَى

لست أنساهُ إذْ بدا منْ قريبٍ ... يتثنَّى تثنِّيَ الغصنِ غضًّا

واعتذاري إليه حين تجافى ... ليَ عنْ بعض ما أتيتُ وأغضى

واعتلاقِي تفَّاحَ خدَّيْه تقبيـ ... ـلاً ولثمًا طورًا وشمًّا وعضًّا

أيُّها الرَّاغبُ الذي طلبَ الجو ... دَ فأبلَى كوم المطايَا وأنضَى

ردْ حياضَ الإمامِ تلقَ نوالاً ... يسعُ الرَّاغبين طولاً وعرضا

فهناك العطاءُ جزلاً لمن را ... مَ جزيلَ العطاءِ والجود محضا

هو أندَى من الغمامِ وأوحَى ... وقعاتٍ من الحسامِ وأمضَى

يتوخَّ الإحسانَ قولاً وفعلاً ... ويطيعُ الإلهَ بسطًا وقبضَا

فضَّل اللهُ جعفرًا بخلالٍ ... جعلتْ حبَّهُ على النَّاسِ فرضَا

الحبيبة الأندلس

شعر الدكتور/ عبدالرزاق حسين

لأندلسٍ أغنّي أُغنياتي ... وأُنشدُها أرقَّ مُنَمْنماتي
وأُهدي الشعرَ عِقدًا منْ سناها ... تلألأَ نورُهُ في السّاطعاتِ
تحدَّرَ كالجمانِ مِنِ الثنايا ... ثناياكِ العِذابِ الفاتناتِ
فيقطر في فمي ماءَ زُلالاً ... لترشفَهُ شِفاهُ معلّقاتي
إلى جيدِ الحبيبةِ عِقدُ دُرّي ... يُصاغُ لها بِوَشْيِ مُسمّطاتي
أُعلّقُهُ على صدرٍ ونهدٍ ... تميمةَ عائذٍ خوفَ الأذاةِ
وأنثُرُ فُلَّ منثوري عليها ... وأزهارَ المعاني المونقاتِ
أريجَ قصائدي وشذى خطابي ... وماءَ الوردِ سُكَّرَ مفرداتي
وأسكبُ نشوتي في كأسِ وجدي ... وأشربُ باللّمى صفوَ الحياةِ
على شطآنكِ استلقى فؤادي ... وفي الأهدابِ تغفو أمنياتي
أتاكِ العاشقُ الولهانُ يحدو ... جِمالاً بالحنينِ مُحمّلاتِ
تسربلَ ليلَهُ ترتيلَ وِرْدٍ ... وأبحرَ في الدّعاءِ وفي الصلاةِ
مرافئُكِ الدفيئةُ حدُّ ركضي ... ونيلُ رِضاكِ حدُّ تطلّعاتي
لأجلكِ قد ركبتُ الصعبَ مهرًا ... وخارطتي هواكِ وبوصلاتي
عبرتُ إليكِ من شوقي زمانًا ... يُعدُّ منَ البحورِ المظلماتِ
فكانَ شذاكِ مِجْدافي وريحي ... ومرساتي عيونُكِ للنجاةِ

obeikandl.com

الفصل الثاني

الفنون النثرية

١ـ أهميتها التوصيلية.

٢ـ غاياتهـا: (غايـة تعليمية، وغاية خلقيـة تهذيبية، وغايـة جمالية فنية، وغاية اجتماعية).

٣ـ أنواعها: (المقال والقصة والرواية والمسرحية).

obeikandl.com

obeikandl.com

أهميتها التوصيلية:

الأثـر الفعّال الذي تتركـه الكلمة في النفس، يجعلها أسيرتـه، فالكلمة تأخذ بمجامع النفس، وتسيرها منقادةً لهذا التأثير، ولشدة هذا التأثير قال الرسول ﷺ: «**إنَّ من البيان لسحرًا** [1]».

فالكلمة الفنية الأدبية المبدعة في عالم الصورة والجمال يكاد فعلها يقارب فعل السحر ويدانيه، فهي تسحر النفوس، فتسلس لها قيادها، وتنقاد لأمرها ونهيها.

والاتصـال عـبر الزمن كان من خـلال الكلمة، وتبدو الأهميـة التوصيلية للكلمـة الأدبيـة من خـلال تاريخ طويـل استخدمت فيه هذه الفنـون في إيصال فكرتهـا وهدفها إلى الآخرين. فتعبر الزمان والمـكان ليمتد تأثيرها ويصل إلى كل قطاعـات المجتمـع، ومع تطـور أساليب الاتصـال وأشكاله مـن خلال ثورة الاتصـالات الحديثة، سهـل عليها الذيوع والانتشـار، وبدأ التسابـق على أشدِّه بـين هذه الوسائـل للوصول والتأثـير، وكان استخـدام الفنـون النثرية يتعاقب في الأولويـة، فبينما مـرت مرحلة كانت فيها المقالة هـي الوسيلة الأسرع وصولاً وتوصيـلاً نتيجة كونها تُقدَّمُ من خـلال وعاءٍ ميسّر، وسهل الوصول إلى القارئ عبر صحيفة أو مجلة، يستطيع الاطلاع عليها في أي وقت يشاء، وفي أي مكان.

تقدّمت بعد ذلك القصة للتصدَّر من خلال وسائل أكثر وصولاً، وبخاصة الإذاعـة والتلفـاز، والسينمـا لتصل إلى المجتمـع بكل فئاتـه، ويتابعها الصغير والكبـير، لأنها كانـت أقوى تأثيرًا في جرعتهـا التوصيلية، حيـث تأتينا في عقر دارنـا، تؤنسنـا وتسلينا، وتحزننـا وتواسينـا، وتعرض لنا الماضي بـكل روعته، والحاضر بكل واقعيته، والمستقبل بكل أحلامه وأمانيه وطموحاته.

---

(١) صحيح البخاري رقم ٥١٤٦ وسنن أبي داود رقم ٥٠٠٩.

ومن هنا كان اهتمام الأمم بآدابها كونها أهم وسيلة توصيلية للآتي:

- التأثير الوجداني.
- الإقناع بوجهة النظر.
- القدرة على التغيير.
- التسلية والتخدير.
- بث روح التضحية والفداء.

تصوير الذات بهمومها وأحوالها، وآمالها وآلامها، والمجتمع بظروفه وأحواله، والحياة بحلوها ومرها.

غاياتها:

للفنون النثرية غايات قريبة وبعيدة، وهي غايات متعددة، قد تجتمع كلها، وقد تقف عند غاية بعينها، ومن هذه الغايات: غاية تعليمية، وغاية خلقية تهذيبية، وغاية اجتماعية، وغاية جمالية فنية.

الغاية التعليمية:

ولقد استخدمت الفنون النثرية من القديم لغايات تعليمية، حيث يبنى الأثر الفني على أساس تعليمي، غايته إيصال المعلومة إلى المتلقي، فيحصل منها علمًا، أو تضيف إليه تجربة جديدة، كما نجد في بعض مؤلفات الجاحظ، وكتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه ابن المقفع، وكثير من المنظومات النحوية والفقهية، والأراجيز في: التاريخ، والجغرافيا، والطب، والفلك، والعلوم المختلفة.

obeikandl.com

الغاية الخلقية:

تتبع تلك الغاية الغاية الخلقية التهذيبية التي يسعى من خلالها أصحاب هذه الفنون لتكريس الأخلاق النافعة، وغرس القيم الصالحة في النفوس، والقصص القرآني، وقصص الحديث الشريف، وما ورد من حكايات الأمثال؛ ليبين عن هذه الغاية السامية.

الغاية الاجتماعية:

معالجة الأحداث الاجتماعية، من: قضايا الأسرة والمجتمع ، والعمل وشؤون الحياة من زواج وطلاق، وإرث، ووظائف، وعلاقات اجتماعية من تواصل وبر وعقوق، إلى آخر ما في جعبة المجتمع من حوادث، وتصوير هذه الأحداث عن طريق الفنون الأدبية من الغايات التي تعد أساسية في الفنون النثرية؛ لأنَّ أعظم الكتاب إنما يستقون أحداثهم من الوقائع التي يعيشونها، ومن الحياة التي يحيونها، ومن خلال معرفتهم بوقائع المجتمعات والحياة.

الغاية الجمالية:

الفنون الأدبية لا تقدم بذهنية مجردة، أو سطحية خاوية، بل تعتمد الجمال الفني، والتصوير البياني، بحيث ينتقل الحدث بأسلوب جذاب يرتقي بذائقة القارئ، وإن كانت هذه الفنون تختلف في الاعتماد على التصوير والخيال، فالشعر غير القصة، غير المقالة، ولكنها في النهاية تلتقي عند هذه الغاية التي تسعى إلى الإحساس بالجمال، والتأثير في النفس، إلى جانب الإمتاع والإقناع، إذ **(إنَّ لصاحب الحق مقالاً)**[1].

(١) صحيح البخاري باب ١٣ ج٣ ص٨٥.

أولًا - المقالة: (تاريخها، وعناصرها، وأنواعها، ونماذج عليها)

أولًا: المقالة:

اختلف نقاد الأدب ومؤرخوه حول قدم هذا الفن أو حداثته، فالذين قالوا بقدمه، استدلوا على رأيهم بكتابات ابن المقفع، ورسائل أبي حيان التوحيدي، والجاحظ، والمعري، وابن حزم، وغيرهم.

أما من قال بحداثتها فيرى أن هذا الفن قد ظهر مع ظهور الصحافة في مصر والشام؛ للتعبير عن الحاجات والقضايا: الأدبية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، إلى غير ذلك، ويؤكدون أن بداياتها كانت متأثرة بفن المقال عند الغربيين، بل وينكرون جذورها العربية التراثية.

ولسنا بصدد الحديث عن حداثتها أو قدمها، مع ميلنا إلى وجود جذورها التاريخية، وسنورد نموذجًا يؤكد رأينا، ومع ذلك فقد أفضنا في الحديث عن هذه القضية في كتابنا (فن النثر المتجدد).

والمقالة فن نثري له أهميته من حيث التأثير في المستقبِل، وتحويل اتجاهه، أو تعديل رأيه، كما أنّ أهميتها تظهر من خلال معالجة القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية، والتنبيه عليها، وتحليلها ومعرفة دوافعها وأهدافها، وتبيان نتائجها، كما أنها أسلوب من أساليب التعبير الذاتي، كلون من ألوان الإبداع الأدبي المعبِّر عن الناس من خلال عرض قضاياهم وحاجاتهم، وما يتصل بشؤونهم وميولهم وأفكارهم، ثم هي وسيلة لحرية الرأي، والاستقلالية في الرؤية والفكر.

عناصر المقالة:

المقالة فن أدبي يعتمد الإيجاز، فالاستطراد والتطول فيها يكاد يلغي الانجذاب لقراءتها، وقد اتفق الأدباء وكتاب المقالة على أن المقالة يجب أن تتسم بعناصر مكونة لها، تكمن في الآتي:

الفكرة: إنَّ الوصول إلى فكرة ذات قيمة وأهمية عند الكاتب وعند القراء لهي أساس الكتابة المقالية، وكلما كانت هذه الفكرة مهمة، فإنها تستقطب العديد من القراء.

العرض: لا يعني الوصول إلى الفكرة النجاح في الوصول إلى قلوب القراء وعقولهم، فعرض هذه الفكرة من خلال القدرة على الإقناع بالأدلة الأكيدة، والشواهد الثابتة، واستخدام الأسلوب الفني المعبر عن الصورة والعاطفة في آن واحد، مع مراعاة التسلسل في عرض الفكرة، والحرص على التشويق في المقدمة والعرض.

الخاتمة: مسك الموضوع يظهر في خاتمته، بحيث تنطبع المقالة في عقل القارئ، ويبقى أثرها، وذلك لأسلوب القفل الجميل، والتركيز على أهم النقاط الواردة في المقالة، مع استخدام عبارات توحي بالخاتمة، وتوصل إليها.

أنواع المقالة:

تتعدَّد أنواع المقالة بتعدد قضايا الحياة، ومن هنا، فإنَّ جملة أنواعها قد أوردناها في كتابنا (الكتابة بين الموضوع والفن[1]).

ونوردها هنا، وهي:

أولاً: المقال الذاتي:

يندرج ضمنه: الشخصي، والوصفي، والتأملي، وفيه يخاطب العقل والعاطفة والقلب، فهو تعبير عن المشاعر والوجدان، يُصاغ بأسلوب يخضع للجمال الفني،

(١) ص ١٥٢- ١٥٤.

والتصوير البلاغي، ويقوم على الإيقاع المبني على مواءمة الحروف، والتقسيم والازدواج، والتضاد، وتشيع فيه المعاني الخلابة، والألفاظ الموحية.

وتتضح صفات المقال الذاتي في الآتي:

١- وضوح الذاتية، بحيث تبدو شخصية الكاتب واضحة، وكأننا نرى صورته من خلالها.

٢- يخاطب القلب والعاطفة والوجدان.

٣- يخضع أسلوبه للجمال الفني، ومستلزمات الكتابة الأدبية المتميزة بكل عناصرها الجمالية.

ثانيًا. الموضوعي:

وهذا المقال يخاطب الفكر والعقل، بأسلوب منهجي يعتمد المنطق والأدلة، والمناقشة والتحليل، وإذا كان المقال الذاتي يعبّر عن شخصية الكاتب، وأفكاره، وعواطفه، ونوازعه، وتظهر لنا صورته واضحة جلية، فإنَّ شخصية الكاتب وصورته في المقال الموضوعي لا تكاد تبين، أو تظهر إلّا لمامًا، إنّها تبدو كنقطة بعيدة، لا تكاد تبدو ملامحها، وذلك راجع إلى أنَّ الكاتب الموضوعي يتوخّى في مقاله:

١- الالتزام بالموضوعية والحياد، حيث ينطلق من خلال مناهج وقواعد ملزمة، ومقنعة في ذات الوقت، فلا مجال لعواطف شخصية، أو آراء ذاتية، أو التحليق على أجنحة الخيال.

٢- الأرضية التي يسير عليها الكاتب هي أرضية الأدلة والشواهد المقنعة، والإثباتات الأكيدة.

٣- الحرص على جمع المادة من مصادرها، وعدم الاعتماد على الظن والتخمين والشائعات، فالحقائق هي التي تتكلّم في المقال الموضوعي.

وأشكاله (النقدي، والفكري، والاجتماعي، والعلمي).

ويتـوزّع المقـال الموضوعـي، ويتعـدَّد بتعـدّد موضوعـات الحيـاة، ويتسـع باتسـاع أشكالها وفروعها، فقد نكتب مقـالات في: النقد، والسياسة والاجتماع، والاقتصاد، والفـن، والرياضة، والفلسفة، والعلم بأنواعـه البحتة والتطبيقية، ولكننـا سنقتصـر علـى أربعة أنواع، يدخـل ضمنها ما نريد من فـروع المعرفة، وجوانب الحياة، وهي:

أولًا: المقـال الأدبـي والنقـدي وموضـوعه الأدب بنوعيه الشـعر والنثر، ومـا يُكتب حولهما من مقالات في تاريخهمـا وتطورهما، وعصورهما، والمؤلفات والمؤلفـين، ومـا يدور حولهما من نقد ضمن الأصـول المعتمدة في النقد، وهذا لا يعني بـأي حال من الأحوال أن المقالة الأدبيـة أو النقدية صارمة باتباع الأوامر والتعليمـات، وأنها تسير ضمـن أطر منهجية، وضوابط علميـة، وأسس نقدية، فالمقالـة من هـذا النوع تجمع إلى جانـب ذلك: رؤية الكاتـب، وثقافته، وذوقه، وإشـراق أسلوبـه، وجمال بيانه، حتى عدّها بعض الكتـاب إبداعًا جديدًا يوازي الإبداع المدروس من شعر أو نثر.

ثانيًا: المقـال الفكـري: يتسـع هـذا اللون للجوانـب الفلسفيـة والتأملية، وجوانب الفكر المختلفة.

ثالثًا: المقـال الاجتماعـي: يتنـاول هذا الشـكل كلَّ العلـوم الاجتماعية، مـن: تاريخ، وجغرافيا، وعلم اجتماع، وسياسـة، واقتصاد، وما يتعلّق بالقضايا والحـوادث الاجتماعيـة علـى الصعيـد الأسـري والشعبـي، وما يمسّ الأفراد والمجتمع، كقضايا الـزواج والطلاق، والفقر والغنى، والغلاء والكساد، والعمالة والبطالـة... إلـخ بشـرط أن تكتـب كتابة أدبية راقيـة، وأن تلتـزم بمواصفات الصياغة الفنية؛ كي تدخل في اسم الأدب.

رابعًا. المقال العلمي: هو المقال الملتزم بقضايا العلم وظواهره،وتطوّره، وابتكاراته، وجديده، وتقدمه في الصناعة والطب والفلك والهندسة، ومن أهم ما يكتب من مقالات بهذا الصدد مقالات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وفيها يظهر موافقة المخترعات والمكتشفات العلمية الحديثة لما جاء به القرآن الكريم.

ما يراعيه كاتب المقال:

١- التمكّن من اللغة.
٢- العودة إلى المصادر؛ للتأكد من صحة معلوماته.
٣- الجودة في عرض الفكرة، من خلال التعليل والتحليل.
٤- تعضيد المقال بالشواهد والأدلة الثبوتية.
٥- حسن اختيار العنوان.

نماذج مقالية:

١- نموذج مقالي من الأدب القديم: (صفة الإمام العادل)

جاء في العقد الفريد في صفة الإمام العادل [١]:

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العدل يا أمير المؤمنين ، كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر. والإمام العدل يا أمير المؤمنين ، كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارًا، ويعلمهم كبارًا؛ يكتسب لهم في حياته،

(١) العقد الفريد ٩/١.

ويدخـر لهم بعد مماته. والإمـام العدل يا أمير المؤمنـين، كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا، ووضعته كرهًا، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونـه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيتـه، وتغتم بشكايته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين، وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهـم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين، كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحـه، وتفسد بفساده، والإمام العدل يا أمـير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهـم. فلا تكن يا أمـير المؤمنين، فيما ملكك الله ﷻ كعبـد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

واعلـم يـا أمير المؤمنـين، أن الله أنزل الحـدود ليزجر بهـا عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاهـا من يليها ! وأن الله أنـزل القصاص حياة لعباده، فكيـف إذا قتلهـم من يقتص لهم ! واذكر يا أمير المؤمنين، الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

٢ـ نموذج معاصر: (سياسة طرف اللسان)

بقلم الدكتور / عبدالرزاق حسين

لم نـزل إلى يومنـا هذا نُخدعُ بحـلاوة سياسة طرف اللسـان التي يزاولها الغرب القوي معنا، ونقصد الاستعمار القديم سابقًا، ولاحقًا الاستعمار المعاصر، وكلاهمـا استخراب يبدي نواجذه لغير تبسم، ويلعب لعبته المفضلة التي يمارسها معنا بـكل إتقان، ويكررها بكل ثقة في النجاح، ودليلـه على نجاحها أنها تؤتي أُكلها معنا كل حين، ولذا غدت منهجًا دبلوماسيًّا يدرَّسُ ويورَّثُ لأجيالهم السياسية، لتصبـح علامـة فارقـة أو بـارزة أو مسجلة، وأسلوبًـا ذكيًّا ـ على طريقـة القنابل الذكيـة التي يتـم إهداؤها لأسرنا في فلسطـين والعراق وأفغانستـان بمناسبة الأعياد ـ

وبما أننا نتقبل بكل الاسترخاء هذه الأوهام والأحلام التي نراها في كل مرة أقرب من حبل الوريد، ويُنفثُ في روعنا أننا أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق بعض أحلامنا، فإنَّه يستمرئُ اللعب معنا بطريقته هذه التي تجوز علينا في كل مرة.

ألم يستخدم السير هنري مكماهون كل الكلام العذب مع الشريف حسين، فيرفعه إلى أعلى عليين، ويزين له الدولة العربية القادمة التي تضم كل أجزاء البلاد والعباد؟

وفي كتاب أرسله له في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥ يتضمن وعدًا لشريف مكة بالاعتراف باستقلال العرب ضمن البلاد التي اقترحها الشريف.

وفي السر يبرونا بري القلم، فتعقد مؤامرات (سان ريمو) واتفاقية (سايكس بيكو) وتكلّل جميعها بوعد (بلفور).

ألم تستخدم بريطانيا الكتاب الأبيض لتهدئة العرب قبل الحرب العالمية الثانية؟ وتضع فيه البنود المطمئنة من أجل إسكاتنا ونيل رضائنا، فمنعت هجرة اليهود ووعدت بحفظ حقوق جميع سكان فلسطين المدنية والدينية بغض النظر عن الجنس والدين، وأعلنت في هذا الكتاب الأسود تطمينات عديدة، من ذلك قولها: (أما مخاوف العرب فبعضها مبني على تفاسير مبالغ فيها لمعنى التصريح الذي أُعطي بالنيابة عن حكومة جلالته في اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩١٧ والذي يحبذ إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ذلك لأنه نشرت بيانات غير رسمية بأن الغاية المنشودة هي جعل فلسطين يهودية برمتها، واستعملت عبارات قيل فيها: إن فلسطين ستصبح يهودية، كما أن إنكلترا إنكليزية. فحكومة جلالته تعتبر هذه الآمال غير قابلة للتحقيق، وتعلن أنها لا ترمي إلى مثل هذه الغاية، وأنها لم تفكر قط في إخضاع أو محو السكان العرب، أو القضاء على لغتهم وآدابهم في فلسطين، كما يتخوف الوفد العربي).

الأسلـوب نفســه، وحلاوة طـرف اللسان ذاتهـا التي نسمعهـا كلما حاس الحيس، ألم تصنـع السياسة الأمريكية ما صنعته السياسة البريطانية؟ فكانت سياســة طرف اللسان ووعود الحلاوة في أعلى تركيز سكَّريتها في بداية الحرب المسمــاة بحـرب الخليج الثانية، بـدءًا بمؤتمر مدريد ومـرورًا بورقة الضمانات الأمريكيــة التــي أخذهــا الرئيس بوش الأب علــى نفسه عــام ١٩٩١م، وانتهاءً بالحرب الأمريكية العراقية أو ما سمي بحرب الخليج الثالثة، ووعود بوش الابن، وخارطة الطريق التي درست معالمها وجلسنا نبكي على أطلالها.

كنــت أستمع إلى اللقاء الذي أجرته إحـدى الفضائيات مع محمود عباس بالعربي (أبو مازن) الذي اعترف أنه صحا من سكر الثقة بأمريكا بعد وعد بوش الأخـير لشارون، والذي جاد فيه عليه بأموالنا وديارنــا، وحلّل له سفك دمائنا، وقضى أمرنا دون أن نشهده، وكأنه قرأ قول شاعرنا العربي:

ويُقضى الأمرُ حين تغيبُ تيمٌ ولا يُســتأذنون وهم شــهودُ

وقال رئيــس الوزراء الفلسطينــي السابق: إنه لم يعــد للسياسة الأمريكية مصداقية.

صــح النوم يــا سيادة الرئيــس، ولا أدري كم هو الوقت الــذي نحتاج فيه إلى النــوم علــى أبواب سياسة أطراف اللسان لنصحــوَ على أنَّ مصداقية آلاف الصفحــات اللاتي وزنهــا أبو عمار بيديه بعد اتفاقيــة أوسلو، وضمنها عشرات الخطابــات التطمينية الأمريكية قد أصبحت هباءً منثورًا أمام إغراءات كرسي البيت الأبيض.

هل حقًّا يقرأ سياسيونا التاريخ؟ كم من مرة لُدغنا من جحر الأفعى، ومع ذلــك نعود في كلِّ مــرة، ونحن نمنّي أنفسنا بعــد كلِّ عودة بالقــول المأثور: ربَّما يصدق الكذوب.

القصة: (تاريخها، وأنواعها، وخصائص بنائها، ونموذج عليها)

ثانيًا: القصة:

تاريخها:

يتقدَّمُ فنٌّ أدبيٌّ على سواه في عصر من العصور، كونه الأكثر ملاءمةً، والأشدُّ تأثيرًا، أو الأيسر استخدامًا، والأسهلُ وصولاً، أو الأفضلُ عرضًا، والأقربُ تناولاً، أو لكونه مناسبًا لأدوات العصر ومتطلباته.

كان الشعر مقدَّمًا حيث الرواية والحافظة تنقله، ويُتناشدُ به في المحافل، ويُتفاخرُ به في المجالس والندوات، ثمَّ تصدَّرت الخطابةُ، فالرسالةُ، فالمقامةُ.

وفي العصر الحديث أصبحت القصة - بأنواعها المتعددة، ومستوياتها المختلفة، واتجاهاتها التي تستوعب اتجاهات الناس، وقوالبها وطرائقها وأساليبها المتنوعة - تتقدَّمُ الأنواع الأدبية؛ لما لها من تأثير في النفوس، ومن قدرة على تكوين الاتجاهات، والتعبير عن الأماني والتطلعات، وتصوير الزمان والمكان والأحداث والشخصيات بما يلائم العصر.

فأقبل الكتاب على القصة يضعون فيها مُثُلَهُم، ويصبّونَ فيها آراءهم واتجاهاتهم، وغدت ساحةً لتصوير الأفكار، والقيم والمبادئ، والأحداث الجسام، مما ربط القارئ بها ربطًا محكمًا، فغدا أسير قراءتها، والاطلاع عليها، وجاء إخراجها في صورة مُمثَّلةً مُجسَّدةً؛ ليزيد من حرارة الاتصال بها، ويقوِّي علاقة القُرَّاءِ بهذا الفن الذي غدا سوقًا رائجًا، فنجاح القصة لا يعني شهرتها أو شهرة كاتبها، وإنَّما يعني إخراجها إلى حيز التجسيد لتعبِّر بلسان شخصياتها وأحداثها حقيقةً لا خيال كاتبٍ، أو تصوُّرَ قارئ، ولتصبح ميدانًا لأفواج من العاملين من خلالها.

و(لا يختلف اثنان في أنَّ القصة في عصرنا الحديث، أصبحت من ذوات الشأن في الميدان الأدبي، فقد تصدَّرت الموضوع الثقافي، وغدت مؤهّلة لحمل أفكار لا حصر لها، ومعالجة مشكلات إنسانية عديدة.

ولكونها تُقرأ في كتاب، أو تُسمع من خلال المذياع، أو تُشاهد على شاشات الفضائيات، ولأنها ترتبط بعواطف الناس ومشاعرهم، وتتحدَّث عن قيمهم وتاريخهم وأمجادهم، وتُصوِّر آمالهم وآلامهم، وتبين عن الواقع في قضاياه السياسية والاجتماعية، لكل هذا التأثير البيّن أصبحت القصة من الوسائل المهمة في توصيل الآراء، وتصدير الأفكار، وزرع الثقافات، وتغيير الاتجاهات والقناعات.

بل غدت سلاحًا حادًّا تواجه بها المجموعات المتنافسة منافسيها وأعداءها، وتبدو قدرتها في هذا الحشد الضخم من القصص والمسلسلات التي بدأت تغزو جوانب العالم في مهمة قولبة هذا العالم وعولمته ضمن رؤية ثقافية، أو خطة مبرمجة لإقناع الآخر، والسيطرة على فكره، وأصبحت القوة الإعلامية المسيطرة تفرض مادتها فرضًا[1]).

أنواع القصة:

يتفق كثير من المعنيين بالشأن القصصي على أن القصة تتمثل في أشكال ثلاثة، هي: القصة القصيرة، والقصة، والرواية.

ولعل الاسمين الأول والثالث، أعني القصة القصيرة، والرواية أصبحا أكثر إطلاقًا، وسيكون حديثنا مقتصرًا على هذين النوعين؛ لكثرة تردد استخدامهما، ولكونهما أصبحا علمين على ما ينتجه الكُتّاب من قصص.

---

(١) انظر كتابنا (الكتابة بين الموضوع والفن: ص ١٦١- ١٦٨).

فالقصة القصيرة هي تلك القصة التي لا يزيد حجمها عن بضع صفحات، والرواية ما زاد على ذلك في حجميه المتوسط والطويل، فكل ما عدا القصة القصيرة غدا داخلاً في ميدان الرواية من حيث التسمية.

ولا يعنينا كثرة الأسماء التي نسمعها من: (قصة قصيرة، أو قصيرة جدًّا، أو أقصوصة، وقصة، ورواية) بمقدار ما يعنينا الجانب الفني، إذ لا يقف الطول وحده سندًا لهذه التسميات، فاختصار الرواية لا يعني قصة، وتلك اللقطات من السطور اليسيرة لا تعني بأي حال قصة قصيرة، فالقصة تحت أي اسم، هي تلك التي تكتمل فيها العناصر القصصية الفنية أيًّا كان حجمها.

وتاريخ نشوء القصة يرتبط بتاريخ البشرية، فمما لا شك فيه أن الإنسان بدأ يحكي حكاياته، وحكايات سابقيه لأولاده وأحفاده، وأبناء قبيلته ومجتمعه منذ أن بدأت الحياة على الأرض، فالقص الشفوي مرتبط بالحياة الإنسانية، وبالتعبير الشفوي، لكننا إذا قصدنا القصة الفنية فإننا نعيدها في أدبنا العربي إلى العصر الذي سادت فيه اللغة العربية بروعة بيانها، وشدة إحكامها، وقوة أسرها، وذلك في العصر الجاهلي، ولكنها لم تكن من ذوات الشأن كالشعر، فقد كان للشعر المقام الأسنى، وعندما جاء الإسلام، وبدأ القرآن الكريم يقص أحسن القصص، فبدأت قصص الأنبياء مع أقوامهم، وقصص إغواء إبليس، وما ورد من قصص الأمم الغابرة تجول المسامع والأفهام، برائع تصوير، وجميل عبارة، وأساليب فنية موجزة غاية في روعة الأداء والتصوير، وتبعها ما ورد في الحديث النبوي، والسيرة النبوية، كل ذلك مهّد لوجود هذا الفن القصصي الذي نجده في المقامة، وقصص البخلاء، والطفيليين، وما ورد على لسان الحيوان، وغيرها.

وفي العصر الحديث نهضت القصة نهوضًا واسعًا، وشملت في التعبير عن شؤون الناس وحاجاتهم جُلَّها ودقيقها، واتسعت لخاصها وعامها، واستطاعت

أن تصل إلى كلّ شرائح المجتمع أعلاها وأدناها، وقارئها وأمّيها، وصغيرها وكبيرها، نتيجة خروجها إلى ميدان التشخيص عن طريق تمثيلها، وغدا تأثيرها يفوق كلَّ فن، ومشاهدتها تسلية تفوق كل متعة.

وإذا ما أردنا أن نخلص إلى تعريف نرتضيه للقصة القصيرة، فإننا نقول: هي شبكة من خيط نسيج واحد مترابط، يفضي أوله إلى نهايته، في أسلوب شاعري محكم الأداء، وفنٍّ تصويري متمكن، وكاتب قادر على تشكيل الحدث بدقة وروعة، وتصوير الشخصية بإحكام وإتقان، والخروج بلحظة تنوير تضيء المكان والزمان، وتضفي جوًّا من الخلابة والسحر على قارئها.

خصائص البناء الفني للقصة القصيرة:

تحكم القصة القصيرة مجموعة خصائص بنائية، تتشكَّل في الآتي:

١- **الوحدة الكلية** المتمثّلة في وحدة الفكرة والحدث والمغزى، والمنطلقة من وحدة القص، حيث اللفظ المرتبط بالجملة، والجملة المنسربة في الفقرة، والفقرة الخاضعة للسياق الواحد الذي يجمع سائر الفقرات، فيحدث سياق واحد ذو أثر كلي، فإذا مثّلنا للكلمة الأولى في القصة ببداية خيط النسيج، فإنَّ السياق بأجمعه يربطه خيط واحد، بشكل واحد، ومادة واحدة، ولا نعني بوحدة القص، وحدةَ التعبير، وإنّما نعني رؤية الحدث المتتابع تتابعًا مسلسلاً مُقنعًا ومترابطًا، ومن هنا قال النُّقّاد بوحدة الانطباع، وقالوا كذلك بوحدة الحدث الذي لا يتشعَّب حتى لا يفقد مركزيته، والفكرة الأساس التي يجري الحدث من خلالها، فهي بؤرة القصة، ومركز دائرتها، بل هي مركز الإشعاع الذي يُلقي بأضوائه على جميع أجزاء الدائرة.

٢- **التكثيف والتركيز:** الأسلوب الموجز، والعبارة الخالصة من كلّ شائبة هو ما يتبادر للذهن من هذا العنوان، وإن كان هذا من متطلّبات التكثيف والتركيز، إلاّ أنَّ هذا المصطلح أشمل وأعم، وأوسع، وأجمع، فالتكثيف والتركيز يفرضان على الكاتب أمورًا عدّة، منها:

أ. **البناء اللفظي المكين المعتمد على اللبنات التي يحتاجها**، ومن هنا فإنَّ الحشو والتطويل، والسرد الذي لا يخدم البناء من دواعي الخلل، ولا حاجة بالقصة إليه.

ب. **الفكرة المشعَّة المسلَّطة والمركّزة** التي تحدث أثرًا فعّالاً وقويًّا.

جـ. **تكثيف الشعور واختصار الزمان والمكان**، واختزال الشخصيات والتركيز على الشخصية المركزية التي يدور حولها الحدث، وعدم الضياع في تفرّعات، ودخول مضائق وتشعبات تُفضي إلى ولادة أحداث أخرى، كلُّ ذلك من الخصائص التي تُعطي القصة القصيرة صفة التركيز والتكثيف.

٣- **البناء الفني للقصة وطرائقها الفنية، وأساليبها الإبداعية:** يحتاج بناء القصة للوقوع على موضوع شيق ومهم، ولكنَّ الوقوف على فكرة معيَّنة، أو الاطلاع على حدث مهم، لا يكفي لصياغة قصة فنية مؤثّرة، ومن هنا فإنَّ السبك الفنّي يعتمد على مجموعة قواعد وأسس تتيح للكاتب النجاح في بناء قصّته، وتُتيح للبناء الجودة، وللقصة الذيوع[1].

(١) انظر الكتابة بين الموضوع والفن: ص ١٦٥- ١٦٨.

نموذج قصصي:

مسالم بن محارب

أتساءل كثيرًا عن سبب تلك الابتسامة الساخرة التي تُولَد في وجه كل من يدعوني بهذا الاسم؟

وأغيب في غابة من أسماء، وأعود كحاطب ليل، أُضيء مصباحي، ثم أَنثرها أمامي: جندل بن جبل، صعب بن سهل، طريد بن الشريد، حنظلة بن مرة، حتى النساء أسماؤهن فيها من الغرابة أكثر مما يوحيه اسمي، فهذه قرادة بنت اليعسوب، وتلك حية بنت حنش، وثالثة قبيحة بنت وضاح.

ومع ذلك فلا أتصور أن اسمًا من الأسماء لاقى صاحبُه ما أُلاقيه من هذه الابتسامات الساخرة التي تترعرع على الشفاه بمجرد ولادة اسمي على أَلسنتهم.

بحثت عن سبب هذه السخرية، كنت أتمنى لو كان أبي حيًّا؛ حتى أعرف منه سبب هذه التسمية، بحثت في كل أوراقه،عدت إلى كبار السن، ولكني كنت أصطدمُ في كل مرة بجدار السخرية ذاته.

كم أتمنى حياتك ليوم واحد يا أبي، لتحلَّ لي هذا اللغز المُحَيِّر المزعج، أيكون ملّ الحرب وأراد السلام، أم أنه كان من المختصين في بديع البلاغة فأَراد المطابقة؟ أم أنه رأى جسمي النحيل فأراد الرفق بي؟ أم أنه لم يكن يفكر في كل تلك الأمور؟ويكون جَدّي أو أحد الأقارب أو لعلَّهُ موظف دائرة النفوس هو الذي تولى اختيار اسمي؟

كان البحث في هذا الموضوع يُؤجِّجُ السخرية بي، وكانت الشفاه المزمومةُ والوجوه المكفهرَّة تقول: لو أَن كلَّ واحد عاش يبحث عن سبب اسمه لتعطلت الحياة، فهناك أَسماء أسوأ من اسْمِك ومع ذلك فإِنَّ أصحابها يعيشون بلا قلقٍ

أو أرق، ثـم إن هذه الأسماء مجرد أداة للمعرفة لا أكثر، حتى الكلاب أصبح لها أسماء؛ ليعرفَها أَصحابها بها.

اصطدمت ببعض هؤلاء الساخريـن، كنت أَشْتَطُّ في صدامي معهم، ولكنَّ وُجوهَهُم الساخرةَ وتعليقاتِهِمُ اللاذعةَ تظل تتراقَصُ أمام عيني كأشباحٍ في ليلةٍ حالكة السواد.

قال لي أحدهم: كن واقعيًّا، فالواقع هو الواقع لن تمحوه بانفعالاتك.

وقـال لي ثانٍ: غيِّـر اسمك، واخلصْ مـن هذه المشكلة، اذهـب إلى دائرة سجلِّ النفوس وبدِّلْهُ إلى اسم آخر يريحك، وتنتهي معاناتك.

و يصـرخ آخر قائـلًا: إياك أن تفعل ذلك، فهذه خيانـة، نعم، إنك بتبديل اسمـك تخـون أباك، إذ تُغَيِّرُ اسمًا به سمّـاك، ويتدخل المتدخلون أهذا هو البر بالآباء بعد وفاتهم، أم هو العقوق الذي أصبح العلامة المسجلة لهذا العصر؟ لم أستمـع لكل رغائهم، فقد كانت هـذه الفكرة الغائبة هي الدواء المنتظر، والمنقذ الأعظم الذي كنت في انتظاره.

عدت إلى البيت، ودفنت نفسي بين كتب التراجم؛ لأختار اسمًا مدويًا يزرع الرعب في القلوب والمفاصل، ويزلزل هذه الوجوه الساخرة قبل نطقه، الضباب يغشي عيني لكثرة الأسماء المتشابهة، أصابعي تنـزل وتصعد وكأنها سرب طيور ينـزل إلى سطح البحر، ثم يصعد إلى أعلى الجبل.

كان قلبـي يخفق عند كل اسم له معنـى جميل أو فضيل أو كريم أو عظيم، وفجـأة يقف إصبعي عند اسم له مـن الروعة والهيبة ماله من الصيت والدوي، ولكنـي صرفـت النظـر؛ لخوفي مـن أن ينقلـب السحر علـى الساحـر، وتزداد السخريـة، فهل يحـق لمثلي أن يُسمى بهذا الاسم وفي هذا الزمن بالذات؟ ويقف

إصبعي مرة أخرى عند اسم رشيق أنيق، إنه هو لا غيره، وأمسكت به إمساك الجائع بالرغيف، والموعود بالوعد، والمنتظر بالبشرى.

إنه عاهد، ياله من اسم مهذب أنيق! تلفظه الشفاه بكل يسر وسهولة، عاهد، نعم اسم يحمل معنى العهد يا أبي، ولن أخونك أو أعقك سأغير اسمك إلى مجاهد، أعلم أنك لن تغضب مني، فمحبتك لولدك، وحرصك على مكانته بين الناس يمنعانك من أن تغضب ولو كنت حيًا ورأيت كيف يسخر من ابنك لاقتنعت بصواب خطتي، ها..لن تعتب أو تغضب يا أبي؟ عاهدني على ذلك.

جهزت نفسي صباح اليوم اللاحق، واصطحبت معي كل الأوراق الثبوتية حتى الشهود، وتوجهت إلى دائرة سجل النفوس عملت كلَّ الإجراءات دون تأفُّف، فعادتي أن أتضجر من هذه التي لها أوَّل وليس لها آخر، لكني كنت مقبلاً عليها حريصًا على أدائها، من تقديم طلب وتعهد، تتعهَّد فيه بألا تغير اسمك مرَّة أخرى مهما كانت الأسباب، وأكملت ما أحتاج إليه من طوابع وأختام وتوقيعات، كان رقمها الثالث عشر توقيع المدير العام، بعدها توجهت للصندوق ودفعت الرسوم، وقالوا: موعدك غدًا الساعة الواحدة.

يكاد قلبي يخرج من بين ضلوعي وأنا في انتظار وليدي القادم الذي سيملأ عليَّ حياتي بالأمن والطمأنينة، بعد لحظات سأتسلم شهادتي الجديدة، أكاد أطير من الفرح.

صوت الموظف بدأ يعلو مناديًا، الآن يصل اسمي، ها.. لعله بعد هذا، أو بعد هذا.

رقم ١٣ (معاهد بن مجاهد).

أيكون قد أخطأ؟ أم أنَّ السمع قد خانني؟ أنا عاهد ولست معاهدًا، لا بدَّ أن يكون هناك خطأ ما..!

أخذت شهادتي، نظرت في الاسم، فإذا هو معاهد، أسقط في يدي، وتطلعت حولي، فإذا بالابتسامات الساخرة كالسياط اللاهبة تجلد اسمي الجديد.

• **الرواية: (تاريخها، وتعريفها، الأنواع والاتجاهات، الصياغة الفنية، مقارنة بين روايتين)**

ثالثًا: الرواية:

تاريخها.

يعد الاستماع والاستمتاع بالقصص، وإعادة روايتها وحكايتها، والميل إلى قصها وتأليفها من مألوف الغرائز، وكأنَّ البحث ومحاولة معرفة الأحداث والأخبار، ومشاهدة ما جرى ويجري في هذه الحياة من المشاهد ميل فطري، ولعلَّ حبَّ الاستطلاع هو أيضًا من الدوافع التي تدفعنا لنعرف: الحدث، وطبيعته، ومن قام به، وردود الأفعال، والنهاية التي انتهى إليها.

والقص والرواية يمثلان الاجتماع الإنساني،حيث هما الوسيلة التي يتم عبرها نقل المعلومات والأخبار، والحديث والمسامرة، فالحديث عن الماضي وشخصياته وأحداثه، والافتخار بالآباء والأجداد، وذكر سيرهم وأفعالهم، وقصة التاريخ والأديان والاجتماع، والعادات والتقاليد مما كان يشغلهم في لقاءاتهم واجتماعاتهم، وسمرهم ولهوهم، فكل شيء في هذه الحياة له قصة.

والقصة جزء لا يتجزأ من حضارات الشعوب وثقافاتهم، ولذلك فقلما تجد شعبًا من الشعوب على وجه الأرض لا يملك رصيدًا من التراث القصصي.

ومع هذا كله نجد من يقول: إنَّ التراث العربي والإسلامي خلوٌّ من الفن القصصي، وإنهم لم يعرفوا القصة والفن القصصي، هذا ما يمكن أن يجده المطلع على دائرة المعارف البريطانية في الجزء الخاص بالإسلام، وعلى وجه الخصوص في الجانب الذي يتعلق بالأدب، فالموسوعة تذكر: أنَّ الأدب التمثيلي، وأدب القصص من الفنون المحرمة والممنوعة في الإسلام، وتابعها على هذا

الـرأي بعضـ كتابنا ومؤرخـي أدبنا، ولسنـا بصدد الدفاع، فذلك قـد سبق أن دحضناه في كتاب سابق، ولكنَّ هذا الادعاء فيه كثير من المغالطة والافتراء، ومن يعدّ إلى كتب التاريخ والمعارف يجدّ أن العرب قد اهتموا بالقصة منذ القدم، وما القصصـ الواردة في القرآن الكريم، والحديث الشريف إلاَّ أنصع دليل وبرهان للرد على هذه الآراء المتهافتة، وقد وجدنا في الأدب العربي من الاهتمام بالقصة ما جعلهم يبتكرون القصص، كالمقامـات، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، ورسالـة التوابـع والزوابـع لابن شهيـد الأندلسي، وحي بن يقظـان لابن طفيل، وغير ذلك كثير، كما امتد اهتمامهم إلى ترجمة القصص الدخيل، مثل: قصص كليلـة ودمنة، وألف ليلة وليلـة، وألّفوا قصصًا على غرارهـا، كما فعل سهل بن هـارون في قصته ثعلة وعفراء، وأبو العلاء المعري في الصاهل والشاحج، واشتد تأثرهـم بهـذا القصص، حتـى إنَّ بعضهم نظمه شعرًا، كما فعـل أبان بن عبد الحميد اللاحقي في نظم كليلة ودمنة.

وتشهد لرأينا كتب الأدب المقارن على مدى تأثير القصص العربي المكتوب والمترجـم بالعربية في كثير مـن الآداب العالمية، يقـول د. محمد غنيمي هلال: (وقـد شرحنا في مجال آخر كيـف أثَّرتْ المقامات العربيـة في قصص الشطار الإسبانية، ثم الفرنسية التي تأثرت بالإسبانية، وقد أدى ذلك إلى نشأة قصص العادات والتقاليد في الأدب الفرنسي، كقصة «جيل بلا» للكاتب الفرنسي لوساج، ثمَّ أثّرت قصص العادات والتقاليد بدورها في قصص القضايا الاجتماعية التي كانت من بواكير القصة الحديثة العالمية في معنى القصة الفني، فكان للمقامات العربية تأثير مباشر وغير مباشر في نهضة القصة العالمية [1]).

(١) في النقد التطبيقي المقارن: ص١٥.

فهـذا النص يبين أن القاعدة التي اعتمد عليها الفن القصصي في الغرب إنما هي قاعدة عربية إسلامية، ولم يقتصر تأثير الأدب العربي على غيره على قصص المقامات، فهناك أمثلة عديدة، من ذلك قصة حي بن يقظان لابن طفيل وأثرها في قصة روبنسون كروزو لدانييل ديفو اللتين سنعرض لهما، وأثر التوابع والزوابـع ورسالة الغفـران في الكوميديا لدانتي الإيطـالي، ولسنا بصدد التتبع الدقيـق؛ لأن ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة، وإنما هي نماذج وأمثلة أوردناها؛ تدليلاً على صحة نظرتنا.

تعريف الرواية:

هـي قصة مكتملة العناصر، متعـددة الفصول، ممتدة في الزمان والمكان، تتعمق الأشخاص، وتسبر أغوارهم، وتتبّع سلوكهم ودوافعهم، تسير ضمن حدث ضخـم، يتفـرع منه أحـداث فرعية، وهي في غالبهـا تعالج المواقـف الإنسانية، ولذلك فإنَّ أشهـر الروايات هي تلك التي تتحدث عن حياة الشعوب، والأحداث العظيمـة التـي مرَّت بها، ولا يعني قولنا هذا أنها اقتصرت على ذلك، بل لها أن تعالج حتى الشؤون الفردية إذا قُدِّر لها أن تمتلك خواص الرواية.

الأنواع والاتجاهات:

للرواية أنـواع عديدة، فمنها: (الرواية الدينية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسيـة، والعلميـة) ولا شك في أنَّ نوع الرواية تبـع لاتجاهها الذي يقصده الكاتب، ويصب فيه الحدث.

فالروايـة الدينيـة: قد تعالج شـؤون المرء الدينيـة، أو قضايا الإيمان، أو الشخصيات الدينية، كالأنبياء والرسل.

والرواية التاريخية: تسير ضمن تخليد الأحداث التاريخية العظيمة للأمة، من: فتوحاتها، وانتصاراتها، وقادتها، وسير أبطالها.

والرواية الاجتماعية: تعالج شؤون الإنسان في مجتمعه وأسرته، وقضايا الحب والطلاق، والإرث، والتعليم والمرأة، والوظيفة، والمال، وغير ذلك.

والرواية السياسية: تتجه إلى إثارة الحديث عن حركات التحرير، والوقوف في وجه المستعمر، والتخلص من الطغاة والمستبدين، وتدور في فلك الحركات السياسية، والأحزاب، والأفكار المتعلقة بذلك.

أما الرواية العلمية: فتتجه للحديث عن العلوم، والتقدم الظاهر فيها، وعن قدرات الإنسان على الابتكار والتطوير، وغزو الفضاء، والغوص في أعماق البحار، والمكتشفات العلمية.

الصياغة الفنية:

إذا كانت القصة القصيرة لها أدواتها الفنية المتمثلة في الدقة والإيجاز، والتلميح والترميز، فإن الرواية أوضح وأشرح، وهي تستوعب الإطناب والتكرار، مما يجعل الفرق بين أسلوبي الصياغة واضحًا، ولا يعني قولنا هذا أن الرواية لا تعتمد الصوغ الفني المتأنّق، بل عليها أن تعتمد ذلك، وإلّا فقدت جانبًا مهمًّا من جوانب قدرتها الفنية والإبداعية والإمتاعية، ولكنّنا نعني أنَّ خاصية التركيز والتكثيف أقوى وأظهر في القصة القصيرة منها في الرواية. ونستطيع أن نوضح هذه الفروق في الآتي:

١- الحدث في القصة القصيرة محدود في الزمان والمكان، بينما في الرواية ممتد ومتفرع.

٢- الشخصية في القصة القصيرة محدودة العدد، وقد تكون فكرة أو موضوعًا، بينما الشخصية في الرواية قد تصل في تعدادها إلى عبور أجيال مختلفة فيها.

٣- التكثيف والتركيز في القصة القصيرة، يقابله التطويل والشرح والتفريع والتفصيل في الرواية.

٤- لا تقف الفروق عند الحجم في الطول والقصر، أو في امتداد الحدث وانكماشه، أو تعدد الشخصيات وقلتها، وإنما يكمن الفرق أيضًا في الصياغة الفنية، حيث القصة القصيرة تعتمد اعتمادًا واضحًا على الصياغة الفنية الراقية التي تصل بها في قدرتها الإيحائية إلى الأسلوب الشاعري، وهذا لا يعني كما قلنا آنفًا، عدم اتصاف الرواية بالأسلوب الأدبي المتقن، ولكن سعة التناول في الرواية للأحداث والشخصيات المختلفة زمانًا ومكانًا وثقافة ومكانة، يؤدي إلى أن تُعرض بأسلوب واضح قريب من مفاهيم الجميع، فكأنَّ القصة القصيرة فن للخاصة والرواية فن للعامة.

والذي يهمنا هنا هو كيفية كتابة الرواية والنجاح فيها، والكتابة الروائية فن له أدواته ومهاراته، فليس كل من كتب حديثًا يتحدث به عن ذكرياته،أو عن واقعة حصلت له، فلا يعني ذلك نجاحًا في هذا الفن، ولذلك فإنَّ أدوات النجاح تكمن في الآتي:

١- الموهبة القصصية التي يجب أن يتمتع بها كل من يلج باب هذا الفن.

٢- العلم بأصول وفنية هذا الفن، وتاريخه، ونقده.

٣- الثقافة الواسعة المعمقة في: اللغة، والأدب، والتاريخ، والسياسة.

٤- الخيال الخصب، والفكر الدقيق، والقدرة على التحليل، والتعليل، والاستنباط والاستنتاج، والتأمل العميق لسبر أغوار الحياة.

٥- معرفة الواقع والوقائع معرفة الرائي أو الشاهد، فليس من رأى كمن سمع، ولا يعني هذا كل الأنواع الروائية، إذ ينوب عن الحضور والمشاهدة والتجربة العيش في جو الرواية بكل المشاعر والأحاسيس،

فمـن يكتب الروايـة التاريخية القديمـة، فإنَّ قـراءة التاريخ والتعمق في حوادثـه، والحيـاة في أجوائه كل ذلك يساعد علـى تمثل الحوادث والشخصيات.

٦- الحاجـة إلى المصـادر والمراجع، فليست الروايـة مجرد خيال سردي، وإنما يحتاج كاتبها إلى مصادر لمعرفة الحقائق وسير الأحداث، فكتب التاريـخ ضرورة للرواية التاريخية، وكتـب التراجم مهمة لمن يكتب في السِّـير والشخصيات، وكتب الاجتماع والطـب وغيرها مفيد للمؤلف؛ كي يكون دقيقًا في توصيف الأشياء والأحداث.

obeikandl.com

مقارنة بين روايتين:

- **الأولى: رواية من الأدب العربي القديم، هي: (حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي).**
- **الثانية: رواية من الأدب الإنجليزي، هي: (روبنسون كروزو لدانيال ديفو).**

ظهرت قصة حي بن يقظان في القرن السابع الهجري، أي الثاني عشر الميلادي، بينما ظهرت قصة روبنسون كروزو بعدها بفترة طويلة تصل إلى ستة قرون أي في القرن الثامن عشر الميلادي، وهنا مع أهمية السبق الزمني الذي يعد الأساس في المقارنات الأدبية، فإنه لا يقف كأساس للمقارنة إلاَّ إذا كان هناك تأثر وتأثير في الأفكار والسرد والشخصيات والحدث، ومن أجل تبيان ذلك نورد ملخصًا للقصتين؛ ليتبين القارئ صورة أحداث الروايتين وبناءهما الفني، ثم نخلص إلى عرض بعض آراء النقاد عن حقيقة تأثير قصة حي بن يقظان في رواية روبنسون كروزو.

موضوع قصة «حي بن يقظان» يدور حول بطل القصة وهي شخصية طفل نشأ في جزيرة من جزر الهند النائية التي سماها المؤلف «الواق واق» وقد نشأ هذا الطفل في تلك الجزيرة من دون أبوين يرعيانه، وقد كان هذا الطفل ابنًا لأخت أحد الملوك، إذ أنَّها تزوجت زواجًا شرعيًّا سرًّا عن أخيها الذي كان معارضًا لهذا الزواج، فلما حملت بمولودها، أصابتها الحيرة فيما تصنع به عند ميلاده، وعندما خرج الطفل إلى الحياة، أتت بتابوت وضعته فيه، وأحكمت إغلاقه، وألقته في البحر، فنقلته الأمواج إلى شاطئ تلك الجزيرة النائية، حيث تعهدت ظبية برعايته وإرضاعه، إذ حسبته رضيعها المفقود.

كبر هذا الطفل، وأصبح قادرًا يافعًا، ولاحظ بعض الفوارق بينه وبين من يعايشهم، فهو يكاد يختلف في قامته وشكله، وتفاصيل سحنته، وطريقة حياته عن الحيوانات التي تشاركه الحياة في الجزيرة.

وهنا بدأ بإعمال فكره وعقله، وأخذ يعيش حياة الإنسان في المجتمع الإنساني ذي الفرد الواحد، فأخذ في بناء بيت له يحميه من تأثير الجو من حر وبرد ومطر وعواصف، وشرع في زراعة النبات بمختلف أصنافه، من: حبوب، وفواكه، كما أخذ في اصطياد الطيور والحيوانات؛ ليعيش، وشعر بحاجته للباس وستر جسده، فاستفاد من جلود الحيوانات التي يصطادها؛ ليكسو نفسه.

وظلَّ على هذا الحال حتى ظهر له شخص يشبهه في الخلقة، وكان ذلك الرجل متصوفًا قد دخل الجزيرة؛ ليخلو بنفسه للعبادة، ويبتعد عن المدن وصخبها، واضطراب الحياة البشرية، وكان يدعى «آسال» فالتقى هذا العابد بحي بن يقظان، فعلمه الدين، ونقله بعد ذلك إلى المجتمع البشري في المدينة التي عاش حي بن يقظان بعيدًا عنها مدة خمسة وثلاثين عامًا قضاها بين الوحوش والحيوانات في الجزيرة.

- **الثانية: رواية «روبنسون كروزو» لدانيال ديفو من القصص الإنجليزي.**

تروي هذه الرواية حكاية بحار اسمه « روبنسون كروزو « كان مسافرًا على ظهر سفينة مع مجموعة من البحارة في رحلة إلى بعض السواحل البحرية، بعد أن تعمقوا البحر، وامتدت رحلتهم أيامًا من الإبحار، اشتد البحر، وثارت العواصف الشديدة، وارتفعت أمواج البحر، وبدأت السفينة تتأرجح، ثمَّ ارتطمت بأمواج عنيفة نتيجة لعاصفة قوية، مما أدى إلى تحطم بعض أجزاء السفينة، فاستقل البحارة قاربًا للنجاة، لكنه اصطدم بموجة عاتية، ما أدى إلى غرق جميع الركاب باستثناء «روبنسون كروزو» الذي نقلته الموجة إلى

شاطئ البحر مغشيًا عليه، وبعد أن استيقظ وجد نفسه وحيدًا في جزيرة مليئة بالحيوانات والوحوش الكاسرة، فبدأ يفكر فيما سيصنعه وهو وحيد ولا يملك شيئًا يدافع به عن نفسه، فكان لا بد من المحافظة على روحه وجسده، فهو في هذه الجزيرة الخالية من البشر يعيش دون أنيس، ولا مفر من مواجهة هذه الحياة الجديدة، فبدأ يبني كوخًا لنفسه، ومن ثم صنع قاربًا صغيرًا أبحر به إلى السفينة المحطمة، وجلب منها كل ما يحتاجه مما تبقى عليها، فأحضر في صندوق كبير بعض الأطعمة، وبعض الكتب، وأحضر فأسًا وبندقية، وبعض الأخشاب، وبعد أن بنى كوخه شرع في زراعة بعض الحبوب، وتربية بعض الحيوانات، وصار يصطاد الطيور والحيوانات؛ ليأكل من لحومها، ويصنع ثيابه من أصوافها وأوبارها، ومضى على ذلك، واستمرت حياته البسيطة، وهو يحاول أن يتأقلم معها، فيصنع له ضوءًا لكوخه، ثم يصنع بعض القدور لطهي طعامه، وظلت حاله كذلك حتى رأى يومًا ما أثرًا لقدم إنسان، فتبعها، واقتفى أثرها حتى أدرك أن بعض البحارة قد نزلو الجزيرة يطاردون أحد الزنوج الفارين للبحث عنه والإمساك به، لكنه أفلت منهم، وأنقذ روبنسون كروزو حياة هذا الزنجي، وتعهده بالتربية والرعاية، وعاشا معًا مدة طويلة، حتى مرَّت ذات يوم سفينة ضلَّ أصحابها، وعرض روبنسون كروزو مساعدة الركاب، إلاَّ أنهم شكّوا في ذلك، فقامت في بادئ الأمر معركة بين الطرفين، اصطلحا بعدها، فركبوا السفينة جميعًا، وعادوا بروبنسون كروزو إلى موطنه، بعد أن غاب عنه مدة ثمانية وعشرين عامًا، وقد عاش حياة منعزلة في جزيرة نائية، أعتمد في حاجاته الضرورية للحياة على ما ينبت في هذه الجزيرة، وما تحويه من طيور وحيوانات كان يربيها أو يصطادها.

ولعل القارئ للروايتين من خلال هذا العرض الموجز يلحظ ما يلي:

١- الروايتـان تدوران حـول موضوع واحد هو قصة إنســان وجد في مكان منعزل، بعيد عن بني البشر.

٢- المكان للروايتين واحد.

٣- الوسيلة للوصول للجزيرة واحدة وهي السفينة.

٤- مواجهة الحياة وأخطارها متفقة في الروايتين من بناء البيت والزراعة وصنـع القدور واللباس، هذا في الموضوع، أمـا في البناء الفني فهناك خصائص متشابهة أيضًا، نذكر منها:

١- *فيهما بعض خصائص المدرسة الواقعية.*

٢- *تتسمان بالحوار الداخلي أو ما يسمى بتيار الوعي، أو المنولوج، وبخاصة في تفكير البطلين في مواجهة الأحداث والصعوبات.*

٣- *الشخصيـة في الروايتـين نامية متطـورة، وليسـت مـن الشخصيات الثابتة.*

ويذهـب بعض نقاد الأدب الإنجليـزي إلى أنَّ مؤلف رواية روبنسون كروزو استطـاع أن يقدم لنا صـورة واقعية لمغامـرة إنسانية فرديـة استطاع صاحبها بقدراتـه أن يكيـف نفسه مـع البيئة الجديـدة، وبذلك قدم لنـا الكاتب نظرية اقتصادية للمجتمع ذي الفرد الواحد.

أمـا رواية حي بـن يقظان فقد قامت كمـا يرى بعض النقـاد على أسلوب رمـزي، الهدف منه العبرة والعظـة، وهي توضح تلك القـدرة التي أودعها الله في الإنســان، واستخدام هذه القـوة العقلية في الاستفادة مما سخره الله تبارك وتعـالى للإنســان، وخدمته، ويؤكد هذا ما ذكره ابـن طفيل مؤلف رواية حي بن يقظـان في مقدمة قصته، فيقول: ففـي قصصهم عبرة لأولي الألباب، وذكرى لمـن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهو يشير بذلك إلى الهدف الرئيس من القصة.

وقـد تجد بعض الخـلاف في الشخصية من حيث: طفولـة حي بن يقظان التـي تبني أفعالها على المشاهـدة والتجريب والتعلم، ورجولـة روبنسون كروزو التي تتمتع بمعرفة مسبقة في مواجهة الظروف.

ولا شك في أن هذا الفرق في التحوير في شخصية روبنسون كروزو لم يغطِّ علـى المشابهة الواضحة في الموضوع والأحداث. ومـن المعروف أن قصة حي بن يقظان قد ترجمت إلى كثير من اللغات: كاللاتينية، والإنجليزية، والألمانية، وقد ظهرت الترجمة الأولى لها عام ١٦٧٤م، وتبعتها أخرى عام ١٦٨٦م، وثالثة عام ١٧٠٨م فكانت آخر ترجمة لها قبل ظهور قصة روبنسون كروزو بإحدى وعشرين سنـة، وكل هذا يؤكد لنـا على أن هذا التشابه الكبير بـين الروايتين لا يمكن أن يتـم مصادفة، وإنما نقول على وجه التأكيد والجزم: إنَّ دانيال ديفو قد تأثّر في روايته روبنسون كروزو بالكاتب العربي ابن طفيل في روايته «حي بن يقظان».

رابعًا: المسرحية:

(تعريفها، وعناصرها، وأنواعها، ونموذج عليها)

نوع أدبي نما وازدهر في أدبنا العربي مع أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حيث ظهر العديد من كتّاب المسرحية، مثل: مارون النقاش، وسليم النقاش، وأبو خليل القباني، وجورج أبيض، وإن كان غالب ما كتبه هؤلاء الكتاب من مسرحيات إنما كان مسرحيات معرَّبة عن الفرنسية والإنجليزية.

وبدأت كتابة المسرحيات العربية في الظهور مع كتابة أحمد شوقي مسرحيته (مصرع كليوباترة) ثمَّ مسرحياته الأخرى التي أخذت من تاريخنا العربي والإسلامي موضوعاتها وأفكارها، ثمَّ تعدَّد كُتّاب المسرحية في مختلف بلادنا العربية.

تعريف المسرحية:

يعرفها الزيّات بأنّها (تمثيل طائفة من الناس لحادث متحقّق أو متخيّل[1]) ولذلك فإنَّ أهم ما يميز المسرحية من غيرها من فنون الأدب كونها تُكتب لتُمثَّل لجمهور يحضرها.

أهم عناصر المسرحية:

(الحوار والصراع والحدث)

الحوار: هو أهم عناصر المسرحية؛ لأنها تقوم عليه، فهو عمود خيمتها، إذ هي تُكتب على شكل حوار بين الأشخاص الذين يقومون بتمثيلها، (فليس هناك مؤلف أو راوٍ يقص الأحداث، ويعرفنا بالشخصيات وطبائعها وعلاقتهم

(١) في أصول الأدب للزيات: ص ٢٠٦.

بعضهم ببعض، كما نشاهد في الرواية مثلاً، وإنما تكشف الشخصيات بنفسها عن نفسها وما يجري فيها [1])، وتتحاور فيما بينها، لينمو الحدث من خلال ذلك الحوار والمواقف، ويجب أن يتمثَّل في هذا الحوار: الحدث، والصراع، والشخصية. ومن مواصفاته الإيجاز غير المخل، بحيث يعبر عن الموقف تعبيرًا تامًّا، وعن الشخصية في طبيعتها وقدراتها الفكرية، وأن تكون لغة الحوار معبرة عن الحدث دون خطابية، أو دعائية، فصدق التعبير يؤدي إلى صدق القبول.

الصراع:

ينشأ الصراع في المسرحية من خلال سلوك شخصيات المسرحية وتطلعاتهم وحاجاتهم، فالتوافق والتعارض، والاختلاف والتصادم، هو ما يعبر عنه بالصراع، والصراع له أشكال عديدة، فمنها: الاجتماعي، والطبقي، والفكري، والسياسي.

والصراع ضربان: خارجي وهو صراع الشخصيات في الأشكال السابقة، وصراع داخلي الذي يتمثل في معاناة الشخصية ذاتها.

الحدث:

تقوم المسرحية وكل عمل أدبي على حدث أو فكرة، فبناء المسرحية يقوم على حادثة أو عدة حوادث تمثل العلاقات الإنسانية في جميع أحوالها.

أنواعها: اعتاد الكُتّاب على تقسيم المسرحية إلى نوعين:

النوع الأول: جاد: وهي المسرحيات التي تتناول الموضوعات المهمة، والمتعلقة بالمثل العليا والأعمال الفاضلة، وقد عرّفها الفيلسوف اليوناني أرسطو

(١) دراسات في النقد المسرحي: ص ٢٨.

(بالمأساة التي تتم بوساطة أشخاص يفعلون لا بوساطة الحكاية، وتثير الرحمة والخوف، فتؤدّي إلى التطهير من هذه الانفعالات).

النوع الثاني: الهزلي: وهو ما أطلق عليه أرسطو (الملهاة) وهي (محاكاة فعل هزلي ناقص.. يحصل به تطهير المرء بالسرور والضحك) وقد التزمت المسرحية هذين النوعين، إلى أن بدأ الكتّاب يخلطون بين اللونين، فظهر:

نوع ثالث يمزج ما بين الجدّ والهزل، وهذا التقسيم تقسيم خارجي يعتمد على الأثر الذي تحدثه المسرحية في نفوس الحضور، وهناك تقسيمات حسب الموضوع مثل:

المسرحية التاريخية: هي المسرحية التي تستمد موضوعها من أحداث التاريخ.

المسرحية الاجتماعية: هي تلك التي تستمد أحداثها من خلال الواقع ومشكلاته.

المسرحية السياسية: هي التي تعالج شأنًا سياسيًّا.

المسرحية الفكرية: وهذه تهتم بالقضايا الفكرية، والصراعات العقلية.

نموذج مسرحي:

هلك المتنطعون

مسرحية لعلي أحمد باكثير

في بيت سلمـان الفارسي الصحابي الجليل، حجرة صغيرة متواضعة ليس بها من الرياش غير القليل، ولكن يظهر عليها الترتيب والتنسيق، أريكة صغيرة واطئة تكاد تلامس الأرض».

ترى أميمة زوجة سلمان، وهي تكنس الحجرة، ولا تكاد تفرغ من ذلك حتى تسمع قرعًا على الباب.

أميمة: من؟

صوت: أنا أم الدرداء.

أميمة: «تفتح الباب» أهلاً وسهلاً. مرحبًا بك يا أم الدرداء.

أم الدرداء: أظنك كنت تكنسين. أتمي عملك يا أم عبدالله.

أميمـة: قد فرغـت من الكنس يـا أم الـدرداء. اجلسي أنـت على الرحب والسعة «تجلسان على الأريكة».

أم الدرداء: كيف حالك يا أم عبدالله؟ وكيف حال سلمان زوجك؟

أميمة: بنعمة الله وعافيته. وكيف حال أبي الدرداء ؟ لعله بخير.

أم الدرداء: تسألينني عن أبي الدرداء. هو كحاله يا أختاه. بخير.

أميمة: ما خطبك؟ أليس كما تحبين؟

أم الدرداء: بلى، كما أحب وكما يحب لنفسه.

obeikandl.com

أميمة: كما يحب لنفسه، وليس كما تحبين!

أم الدرداء: استغفر الله يا أختي، لم أقل ذلك.

أميمة: أردت ذلك، ولم تقوليه.

أم الدرداء: كلا، لست أشكو من أبى الدرداء أي شيء.

أميمة: بل في نفسك شيء تكتمينه عني. أنت لست راضية عن زوجك.

أم الدرداء: ويحك يا أم عبدالله، من أين جاءك هذا الظن؟

أميمة: من لحن قولك يا خيرة.

أم الدرداء: لتطب نفسك يا أميمة، فإني راضية راضية.

أميمة: فما بالك على هذه الهيئة؟

أم الدرداء: ماذا تنكرين من هيئتي؟

أميمة: شعرك أشعث غير مدهون ولا مرجل.

أم الدرداء: كنت أرفو اليوم قميص أبي الدرداء فشغلني ذلك عن إصلاح شعري.

أميمة: ما أحسبه عرف الدهن منذ أيام. إن لم يكن عندك دهن فسأعطيك شيئًا من عندي.

أم الدرداء: بل عندي الدهن ولله الحمد. وعندي المشط كذلك. سأدهن شعري، وأرجله لك حين أزورك يومًا آخر.

أميمة: لي أنا أم لأبي الدرداء؟

أم الدرداء: لك أنت أولاً، ثم لأبي الدرداء.

أميمة: بل لأبي الدرداء أولاً ثم لي.

أم الدرداء: لا مشاحة يا أميمة.. كما تشائين.

أميمة: «لا تريد أن تستسلم للجواب الذي تخلصت به أم الدرداء» وهذا الثوب؟

أم الدرداء: ما باله؟

أميمة: لا يعجبني أن أراه عليك، فما أنت بعانس ولا أيم.

أم الدرداء: بالله يا أميمة، دعيني من هذا. أنا جئت لأَتَنِس بك، لا لتنقدي ثوبي وشعري.

أميمة: يا خيرة، يا بنت أبي حدود، لا ينبغي لك أن تنسي أن رسول الله ﷺ لما آخى بين المهاجرين والأنصار قد آخى بين زوجي وزوجك.

أم الدرداء: هذا أمر لا ينسى أبدًا.

أميمة: فسلمان الفارسي، وأبو الدرداء الخزرجي شيء واحد، وأنا وأنت شيء واحد.

أم الدرداء: هذا حق.

أميمة: فما ينبغي لى أن ألبس ثوبًا خيرًا من ثوبك، ولا أن أصلح من شعري ما لا تصلحين من شعرك.

أم الدرداء: لا عليك مني في هذا الشأن يا أميمة، فما عندي ميل إلى التزين والتجمل مثلك.

obeikandl.com

أميمـة: أما والله لقد كنت فيما مضى من أملح نسـاء الأنصار، وأجملهن شعرًا، وأفضلهن زينة وتطرية.

أم الدرداء: ذاك عهد مضى يا أم عبدالله، وقد اختلف الحال اليوم.

أميمة: فيم يا أم الدرداء؟

أم الدرداء: كان أبو الدرداء تاجرًا من قبل، فأصبح اليوم، وقد لزم العبادة وترك التجارة.

أميمة: ما كان أبو الدرداء بموفق في ذلك.

أم الدرداء: إنه يزعم أنهما لا يجتمعان. العبادة والتجارة.

أميمة: ماذا يمنع؟ هذا سلمان مازال حتى اليوم ينسج الخوص، ويأكل من كسب يده، ويرى ذلك من أفضل العمل.

أم الـدرداء: يـا أم عبـدالله، ألا تعلمين أن زوجك شيء آخـر؟ إنه رجل لا يشغله شيء عن شيء.

أميمة: لا ينبغي لك يا أم الدرداء، أن تحذي حذو زوجك، فتنسي ما ينبغي للمرأة المتزوجة من زينة.

أم الدرداء: لمن ينبغي على المرأة المتزوجة أن تتزين؟ أليس لزوجها؟

أميمة: بلى.

أم الـدرداء: فزوجـي أصبح لا يعنيه اليوم من زينتي شيء. لقد صار سواء عنـده اليوم: أتزين أو لا أتزين، وأن أتكحـل أو لا أتكحل، وأن أصلح شعري أو لا أصلحه، فلمن تريدين أن أتزين؟ للشيطان؟!

أميمة: معاذ الله يا أم الدرداء، كيف تقولين هذا؟

أم الدرداء: ماذا أصنع لك؟ أبيت إلا أن تحاوريني، حتى أعلنت لك.

أميمة: نِعْمَ ما فعلت يا خيرة، قد كان ينبغي عليك أن تصارحيني بهذا الذي تجدين في نفسك من أول الأمر.

أم الدرداء: ما خير ذلك يا أختي، إلا أن ألقي همي على همك.

أميمة: لعلي أستطيع أن أصنع لك شيئًا.

أم الدرداء: ماذا بوسعك أن تصنعي لي؟ تهدين لي ثوبًا آخر من ثيابك؟

أميمة: إذا شئت يا أم الدرداء، فإن عندي ما تحبين.

أم الدرداء: كلا، يا أم عبدالله. احتفظي بثوبك خيرًا لك. أتدرين ماذا صنع زوجي بذلك الثوب الذي أهديته إلي؟

أميمة: ماذا صنع به؟

أم الدرداء: ما إن رآه ذات يوم حتى أمرني أن أخلعه، وأتصدق به على إحدى فقيرات أهله.

أميمة: غفر الله لأبي الدرداء. والله لأكلمنَّ سلمان في شأنه؛ لينصحه.

أم الدرداء: كلا. إياك أن تفعلي يا أم عبدالله.

أميمة: أي بأس في ذلك؟

أم الدرداء: هذا سر بيني وبين زوجي، لا ينبغي أن يعلم أني بحت به لأحد.

أميمة: لن يعلم زوجك شيئًا. إن سلمان كما تعلمين لكيِّسٌ لبقٌ.

أم الـدرداء: كلا، يـا أختي. إني بعد لأستحي من بعلـك أكثر مما أستحي من بعلي.

أميمة: سلمان أخ لزوجك، فهو بمنـزلة أخيك.

أم الدرداء: حتى أخي ابن أبي وأمي أستحي منه في مثل هذا الشأن.

أميمة: فاعلمي إذن أن سلمان قد عرف هذا السر الذي تكتمين.

أم الدرداء: ويلك ممن عرفه؟

أميمة: منك أنت.

أم الدرداء: ماذا تقولين؟

أميمـة: إنـه زاركم ذات يوم، فأنكـر هيئتك، فسألك فقلت لـه: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا.

أم الـدرداء: يـا هنتاه. حقًّا قلت لـه ذلك، ولكني ما قصـدت هذا المعنى، وإنما قلت ما قلت اعتذارًا له، كراهية أن يكلف نفسه فيهدي لنا ثوبًا من عنده.

أميمـة: مهما يكن من قصدك فقد فطن سلمان لحقيقة ما بك وإنه لكيس فطين، إني والله لربما أكتم عنه الشيء فيكشفه لي كأنما يقرأ من كتاب.

أم الدرداء: واحياءاه ! واخجلتاه!

أميمة: هوِّني عليك، فإن هو إلا أخ أمين.

«في بيت أبى الدرداء. حجرة تشبه الحجرة السابقة إلا أنها أكثر تواضعًا منها».

أبو الدرداء: «يستقبل سلمان الفارسي» مرحبًا بك يا أبا عبدالله، يا سباق فارس!

سلمان: «فرحًا» سابق فارس! بأبي هو وأمي إذا لقيني بذلك!

أبو الدرداء: ﷺ.

سلمان: لقد حضرت أنا وأهلي يا أبا الدرداء.

أبو الدرداء: ومرحبًا بأهلك.

سلمان: سنتغدى ونتعشى عندكم.

أبو الدرداء: على الرحب والسعة يا أخي. أين هي امرأتك؟

سلمان: قد سبقتني إليكم. داخل الدار عند أهلك.

أبو الدرداء: عجبًا والله ما علمت.

سلمان: وأنى لك أن تعلم وأنت مشغول يومك كله عن أهلك؟ وعسى أن تكون مشغولاً عنهم ليلك كله كذلك!

أبو الدرداء: ويل بنت أبى حدرد. كان عليها أن تخبرني «ينادي»: أم الدرداء يا أم الدرداء.

أم الدرداء «صوتها» لبيك يا أبا الدرداء.

أبو الدرداء: هذا سلمان أخي عندي.

أم الدرداء: مرحبًا به وأهلاً. وهذه امرأة أخيك سلمان عندي.

أبو الدرداء: مرحبًا بها وأهلاً. اصنعي لهما شيئًا يا خيرة. فإنهما سيتغديان عندنا.

أم الدرداء: وسيتعشيان أيضًا.

obeikandl.com

أبو الدرداء: أجل أجل.. هيئي لهما ما عندك.

أم الدرداء: قد هيأت كل شيء.

أبو الدرداء: أحسنت يا خيرة. أحسن الله إليك.

أبو الدرداء: هلم يا أبا عبدالله، فها قد أحضرت أم الدرداء الغداء.

سلمان: «ينظر إلى الصفحة أمامه على الخوان» ما شاء الله. لقد عنيت بنا أم الدرداء، فهيأت لنا هذا الطعام الطيب.

أبو الدرداء: كُلْ يا أخي هنيئًا مريئًا.

سلمان: وأنت ألا تجلس فتأكل؟

أبو الدرداء: اعذرني يا سلمان، فإني صائم.

سلمان: صائم؟!. أجيء أنا من بيتي لأكل عندك فتصوم؟!

أبو الدرداء: قد نويت الصوم يا أخي، قبل أن تحضر.

سلمان: فأفطر الآن، إذ حضرت.

أبو الدرداء: ألا تدعني يا سلمان، أتم صومي؟ وسأجلس معك أحادثك على الطعام.

سلمان: أيصح هذا في شرعتكم يا معشر العرب؟

أبو الدرداء: بئس ما تقول يا أخي. إن الله قد أكرمنا بالإسلام، فأغنانا عن شرعة العرب.

سلمان: وبئس ما تفعل أنت يا عويمر. فإن الإسلام لا يرضى ذلك. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». والله ما أنا بآكل حتى تأكل.

obeikandi.com

أبو الدرداء: فسآكل معك إذن يا سلمان. باسم الله.

سلمان: باسم الله «يأكل الاثنان من الصفحة».

«أم الدرداء تتزين، وتساعدها في ذلك زوجة سلمان».

أم الدرداء: انظري يا أختي. لقد جاء زوجك من صلاة العشاء، ولا يجيء أبو الدرداء.

أميمة: لعله آتٍ في الأثر.

أم الدرداء: والله ما هذا بحسن. يكون عنده الضيف، فلا يسبق الضيف إلى البيت.

أميمة: اتركي ذلك لسلمان، فإنه كفيل بتأديبه.

أم الدرداء: صدقت لقد أدبه اليوم، فأحسن تأديبه.

أميمة: هيا أكملي الآن زينتك.

أم الدرداء: قد أكملتها.. ماذا تريدين بعد؟

أميمة: هذا الطيب لم تمسِّيه بعد ! ضمَّخي به رأسك وما بين كتفيك.

سلمان: «يدخل عليه أبو الدرداء من الخارج» معذرة يا أبا الدرداء، أن سبقتك إلى بيتك.

أبو الدرداء: بل اعذرني أنا يا أبا عبدالله، إذ تأخرت عنك في المسجد. البيت بيتك على كل حال.

سلمان: غفر الله لأم الدرداء. لقد أكثرت لنا في العشاء، حتى أسرع إليَّ النعاس.

obeikandl.com

أبـو الـدرداء: إن كنـت تريد النـوم فادخـل إلى أهلك. فقـد أعددنا لكما الحجرة الداخلية.

سلمان: وأنت يا أخي، ألا تأوي إلى أهلك؟

أبو الدرداء: ليس الآن. سأبقى هنا قليلاً؛ لأقوم بعض الليل.

سلمـان: ويلـك كيف يطيب لي ولأهلـي النوم في بيتك، وأنـت قائم تتهجد وامرأتك ساهرة تنتظر؟

أبو الدرداء: عجبًا لك اليوم يا سلمان، ما خطبك؟

سلمان: إن كنت تكره أن نبيت عندك فدعنا ننصرف إلى بيتنا.

أبو الدرداء: معاذ الله يا أخي. ادخل إلى أهلك، وسأدخل إلى أهلي.

سلمان: بل ادخل أنت أولاً، وسأدخل بعدك.

أبو الدرداء: سمعًا يا أبا عبدالله.

سلمـان: وإياك أن تقوم حتى أكـون أنا الذي أوقظك من آخر الليل، فنقوم معًا، ونصلي معًا.

أبو الدرداء: (في غيظ مكتوم) سمعًا يا سلمان.

«بعد بضعة أيام في نفس المكان»

أبـو الدرداء: ما هـذا الذي فعلت يا سلمان؟ كيف تقيـم في بيتي، وتحضر طعامًا من بيتك؟

سلمـان: قـد صـارت لنـا ثلاثـة أيـام في بيتـك، فـلا ينبغـي أن نبقى في ضيافتك.

أبـو الـدرداء: كلا، يا سلمـان، إما أن تقيمـا في ضيافتنـا أو تنصرفا إلى بيتكما.

سلمان: فهلم أنت وأهلك فأقيما في بيتنا بضعة أيام.

أبو الدرداء: ويحك ما يدعونا إلى ذلك؟

سلمان: لنتعاون على البر والتقوى. نذهب إلى المسجد معًا، ونعود إلى أهلنا معًا، ونقوم آخر الليل معًا.

أبـو الـدرداء: «محتدًّا» يـا سلمان، قد صـبرت لك طويلاً. وقـد آن لي أن أصارحـك إنك لم تُعنِّي على الـبر. بل شغلتني عنه. ما عدت أستطيع أن أصوم، ولا أقوم منذ أقمتما عندنا أنت وأهلك.

سلمـان: وقد آن لي أنا أيضًـا أن أصارحك. إن كنت تبغي التقرب إلى الله بما تفعل فإن الله تعالى لا يتقرب إليك بإضاعة الحقوق التي عليك.

أبو الدرداء: أي حقوق أضعت؟

سلمـان: إن لربـك عليك حقًّـا، وإن لبدنك عليك حقًّـا، وإن لأهلك عليك حقًّا. فأعطِ كل ذي حق حقه.

أبو الدرداء: هذا حق. وما أراني إلا معطيًا كل ذي حق حقه.

سلمان: بل أضعت حق بدنك، وحق أهلك.

أبو الدرداء: أفلهذا أقمت عندي هذه الأيام؟

سلمان: أجل لأحملك على البر، وأسير بك في الجادة.

أبو الدرداء: هذا رأيك يا سلمان، وأنا أرى خلاف رأيك.

obeikandl.com

سلمان: هلم إذن نحتكم إلى النبي ﷺ لنرى أينا أهدى سبيلاً؟

أبو الدرداء: أنصفت يا سلمان، فهلم.

«في بيت سلمان.. أم الدرداء تزور أميمة، وهي في هندام حسن»

أميمة: أهلاً أهلاً بك يا أم الدرداء. أراك اليوم على خير حال؟

أم الدرداء: جزاك الله صالحة يا أختاه، وجزى سلمان خيرًا. لقد صار أبو الدرداء خلقًا آخر.

أميمة: حديث النبي ﷺ هو الذي أصلحه.

أم الدرداء: أجل.. أصبح زوجي لا يكف عن ترديده في كل حين.

أميمة: هلك المتنطعون.

أم الدرداء: لا تختصري الحديث يا أم عبدالله. لقد قال ﷺ لأبي الدرداء لما احتكم هو وسلمان إليه: **«لقد صدق سلمان. سلمان أفقه منك يا أبا الدرداء. هلك المتنطعون. هلك المتنطعون»**.

ملحق يتضمن:

١- نصوصًا في مهارات الاتصال.

٢- أسئلة في مهارات الاتصال.

نصوص في مهارات الاتصال:

إنَّ حُسْنَ تأليف الكلام، وإدارته في الأغراض المتعددة، والأحوال المختلفة، لهو توفيق من الله ﷻ أولاً، ومن ثم تعلُّمٌ، وتثقُّفٌ، وتدريبٌ، وممارسة.

وقد هدفت من هذه النصوص التي اخترتها من أهم كتب أمهات التراث العربي، وضع نجاحات السابقين، وعرض تجاربهم وخبراتهم في مختلف المواقف التي تحتاج للسان وفضيلة البيان.

وهذه النصوص المختارة من كتب التراث القيمة تمثِّل كثيرًا من المهارات التي نحتاجها، والتي يجب أن نتعلمها، فهي زبدة تجارب الأمة، ومخض ثقافة تراثية عظيمة، وكنز بيان رائع.

ومما جاء فيها: أقوال في ضبط اللسان، والأدب في التعليم، والكلام في موضعه وغير موضعه، والخجل والعلم، والحال والموقف والقدرة على البيان واختلافها، وفصاحة القول، ومحاسن ومساوئ المخاطبات والمكاتبات، والأسئلة والأجوبة، والذكاء والبديهة، وحسن الاعتذار، وجميل الأمثال، وحسن الخلق والحلم، والكرم، والجود والرفق، والصفح، والعفو.

وفي آداب العلماء والمتعلمين [1]:

---

(١) وردت هذه النصوص في كتاب آداب العلماء والمتعلمين ١/ ١- ١٠١.

قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه».

وَلأَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ [1]».

وقد صح عن الشافعي -رحمه الله- أنه قال: ما ناظرت أحدًا قط على الغلبة، ووددت إذا ناظرت أحدًا أن يظهر على يديه.

وقال: ما كلمت أحدًا قط إلا وددت أن يوفق، ويسدد، ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ.

قال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا البيان إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مرسلة أو ضالة.

قالوا: المرء بأصغرية لسانه وقلبه.

وكان يقال: عقل المرء مخبوء تحت لسانه.

قال حسان بن ثابت:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ... ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي

وقال الخليل رحمه الله:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ... وما السيف أقوى وقعة من لسانيا

(١) مسند الإمام أحمد رقم ١٥٨٥٢ وصحيح البخاري رقم ٦٤٧٨.

وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله حاجة، فأحسن المسألة، فأعجبه قوله، فقال: هذا والله السحر الحلال.

وقال علي بن عباس بن الرومي:

وحديثها السحر الحلال لو أنها لم تجنِ قتل المسلم المتحرِّز

وكان يقال: في اللسان عشر خصال محمودة: أداة يظهر بها البيان، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ ينتهي به عن القبيح، ومعز تسكن به الأحزان، وملاطف تذهب به الضغينة، وموفق يلهي به الأسماع.

نظر معاوية رضي الله عنه إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فأتبعه ببصره، ثم قال متمثلاً بقول الشاعر:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل مصيب ولم يثنِ اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى وينظر في أعطافه نظر الصقر

كان يقال: الجمال في اللسان.

قيل لأعرابي: ما الجمال؟

قال: في اللسان.

باب ذم العي وحشو الكلام:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لا خير في فضول الكلام.

قال عطاء: كانوا يكرهون فضول الكلام.

وقالوا: بترك الفضول تكمل العقول.

وقالوا: فضول الكلام ما ليس في دين ولا دنيا.

وقالوا: الصمت صيانة اللسان، وستر العي.

كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أبي موسى الأشعري[1]:

أما بعد فتفقهوا في السنة وتعلموا العربية، وروي عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أنه قال:

رحم الله عبدًا أصلح لسانه.

قال علي بن محمد العبرتاني: رأيت لسان المرء وافد عقله... وعنوانه فانظر بماذا تعنون.

وقال أيضًا: اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الوجه.

قال ابن شبرمة: إذا سرك أن تعظم في أعين من كنت عنده صغيرًا، ويصغر في عينك من كان فيه كبيرًا، فتعلم العربية؛ فإنها تجزيك عن المنطق، وتدنيك من السلطان.

قال الشاعر:

النحو يصلح من لسان الألكنِ ... والمرء تكرمه إذا لم يلحنِ

وإذا أردت من العلوم أجلها ... فأجلها منها مقيم الألسنِ

وترى الوضيع إذا تكلم معربًا ... نال الكرامة باللسان الأحسنِ

ورأى أبو الأسود الدؤلي أعدالاً للتجار عليها مكتوب: لأبو فلان، فقال سبحان الله يلحنون ويربحون.

قال رجل للحسن البصري: يا أبو سعيد.

فقال: كسب الدراهم شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد.

---

(١) هذه الأقوال وما بعدها جاء في بهجة المجالس ١/ ٧ .

مر خالد بن صفوان بقوم من الموالي يتكلمون في العربية، فقال: لئن تكلمتم فيها فأنتم أول من أفسدها.

وقالوا: العربية تزيد المروءة.

قال نصر بن أحمد:

لسان الفتى حتف الفتى حين يجهلُ ... وكل امرئ ما بين فكيه مقتلُ
وكم فاتحٍ أبوابَ شرٍّ لنفسه ... إذا لم يكن قفل على فيه مقفلُ
إذا ما لسان المرء أكثر هذرةً ... فذاك لسان بالبلاء موكَّلُ
إذا شئت أن تحيا سعيدًا مسلمًا ... فدبِّر وميِّز ما تقول وتفعلُ

قال الأعمش رحمه الله: احذروا الجواب.

قال تميم بن نصر بن سيار لأعرابي: هل أصابتك تخمة قط؟

قال: أما من طعامك فلا.

وهذه نصوص من كتاب إحياء علوم الدين:

الضرب الثاني الفروع، وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعانٍ تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله ﷺ: «**لا يقضي القاضي وهو غضبان**[1]» حديث: «**لا يقضي القاضي وهو غضبان**» متفق عليه من حديث أبي بكرة أنه لايقضي إذا كان: خائفًا، أو جائعًا، أو متألمًا بمرض.

قال الأحنف: لأن أدعى من بعد أحب إلي من أن أقصى عن قرب.

(١) سنن الترمذي رقم ١٣٣٤ وفيه برواية: «**لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان**».

وقال البعيث بن حريث:

وإن مكاني بالنديِّ وموضعي ... لبالموضع الأقصى إذا لم أقرَّبِ
ولست وإن قربت يومًا ببائع ... خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبُّبِ
وقد عده قوم كثير تجارة ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

أقوال: في ضبط اللسان:

قال الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]:

(من كثُر كلامه كَثُر خطؤه، ومن كَثُر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤُه قلَّ ورعُه، ومن قلَّ ورعهُ مات قلبُه، ومن مات قلبهُ دخل النار).

المطلع أو الافتتاح: يقول الحصري: (أول ما يقرع الآذان أدعى إلى الاستحسان[2]).

وجاء في البيان والتبيين[3]: (وكان بشَّارٌ كثيرَ المديح لواصِل بن عطاء قبل أن يدين بَشَّارٌ بالرَّجْعة... وكان قد قال في تفضيله على خالِد بن صفوانَ، وشبيبِ بن شَيبة، والفضل بن عيسى، ويومَ خطَبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق:

أبا حُذيفَة قد أوتِيتَ مُعْجِبةً ... في خُطبةٍ بَدَهَتْ من غير تقديرِ
وإنَّ قولاً يروق الخالِدَين معًا ... لَمُسْكِتٌ مُخرِسٌ عن كلّ تحبيرِ

(١) نهج البلاغة: ص ٧٣٨والمنتخب والمختار: ص ٤٢.
(٢) زهر الآداب ٤/ ١١٦٣.
(٣) ١/ ٧.

لأنه كان مع ارتجاله الخطبَة التي نزع منها الراء، كانت مع ذلك أطولَ من خطبهم، وقال بشّار:

تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قد حَفَلوا ... وحَبّروا خطبًا ناهِيكَ من خُطبِ
فقام مرتجِلا تغلي بداهتُه ... كمِرْجَل القين لما حُفَّ باللهب
وجانَبَ الراءَ لم يشعُرْ بها أحد ... قبل التصفُّح والإغْراق في الطّلبِ

وقال في كلمة له يعني تلك الخطبة:

فهذا بديهٌ لا كتحْبيرِ قائلٍ ... إذا ما أراد القول زوَّرَه شهرا

ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة، وما يحضرني منها:

قال أبو عثمان: وهي أربعة أحرف: القاف، والسين، واللام، والراء، فأما التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوِّره الخَطّ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مَخْرجٌ من المخارج، والمخارجُ لا تُحصَى ولا يُوقف عليها، وكذلك القولُ في حروف كثيرة من حروف لغات العجم؛ وليس ذلك في شيء أكثرَ مِنه في لغة الخوز، وفي سواحل البحر من أسياف فارسَ ناسٌ كثير، كلامُهم يشبه الصَّفير، فمَنْ يستطيع أن يصوِّر كثيرًا من حروف الزَّمزمة، والحروفِ التي تظهر من فم المجوسيّ إذا تَرك الإفصاحَ عن معانيه، وأخَذَ في باب الكناية وهو على الطعام.

فاللُّثغة التي تعرِض للسّين تكون ثاء، كقولهم لأبي يَكسوم: أبي يَكثوم؛ وكما يقولون: بُثْرَةٌ، وبِثْم اللهِ، إذا أرادوا بُسْرة، وبسم الله، والثانية اللثْغة التي تعرِض للقاف؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاءً، فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال: طُلْت له؛ وإذا أراد أن يقول: قال لي، قال: طال لي.

وأما اللثغة التي تقع في اللام، فإن مِن أهلها مَن يجعل اللام ياء، فيقول بدل قوله: اعتَلَلْتُ: اعتيّيت، وبدل جَمَل: جَمَيّ، وآخرون يجعلون اللامَ كافًا، كالذي عرض لعُمَر أخي هلال، فإنه كان إذا أراد أن يقول: ما العلة في هذا؟ قال: مَكّعِكّة في هذا [1]).

وقال بشار [2]:

فسائِلْ بعبدالله في يوم حَفْلِهِ ... وذاك مَقامٌ لا يشاهده وَغْدُ
أقام شبيبٌ وابنُ صَفوانَ قبلَه ... بقولٍ خطيبٍ لا يجانبه القَصْدُ
وقام ابنُ عيسى ثُمَّ قفّاه واصلٌ ... فأبدَعَ قولاً ما له في الورى نِدُّ
فما نقَصَتْهُ الرّاءُ إذْ كان قادرًا ... على تركِها واللفظُ مطّرِدٌ سَرْدُ
فَفَضّل عبدُالله خُطبةَ واصلٍ ... وضُوعف في قَسْمِ الصّلات له الشُّكْد

وهذا كقول بشّارٍ الأعمى [3]:

وعِيُّ الفَعَالِ كعِيّ المقال ... وفي الصّمت عِيٌّ كعِيّ الكلمْ

وقالوا في الصمت كقولهم في المنطق، قال أُحَيْحَة بن الجُلاح:

والصمت أجْمَل بالفتى ... ما لم يكن عِيٌّ يَشينُهْ
والقول ذو خَطَل إذا ... مَا لم يكن لُبٌّ يُعينُهْ

وقال مُحرِزُ بن علقمة:

لقد وارَى المقابرُ من شَريكٍ ... كثيرَ تحلُّمٍ وقليلَ عابِ
صموتًا في المجالس غير عَيٍّ ... جديرًا حين ينطق بالصّواب [1]

(١) البيان والتبيين ١/١٠.
(٢) المصدر نفسه ١/١٠.
(٣) المصدر نفسه ١/١٠.

وسأل الله ﷻ موسى بنُ عمرانَ عليه السلام، حين بعثه إلى فرعونَ بإبلاغ رسالته، والإبانـةِ عن حجّته، والإفصاح عن أدِلّته، فقـال حين ذكر العُقْدة التي كانت في لسانه، والحُبْسةَ التي كانت في بيانه: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ طه.

وأنبأنا اللهُ تبـارك وتعالى عن تعلُّق فرعونَ بكلِّ سببٍ، واستراحته إلى كل شَغَب، ونبَّهنا بذلك على مذهبِ كلِّ جاحدٍ معاند، وكلِّ مُحْتالٍ مكايد، حينَ خبَّرنا بقوله: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ الزخرف.

وقال موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾ القصص.

وقـال: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣﴾ الشعراء.

رغبـةً منه في غاية الإفصـاح بالحجّة، والمبالغةِ في وضـوح الدَّلالة؛ لتكون الأعنـاقُ إليه أَمْيَـلَ، والعقولُ عنه أفهمَ، والنفوسُ إليه أسـرع، وإن كان قد يأتي مـن وَرَاءِ الحاجة، ويَبْلـغ أفهامَهم على بعض المشقّة، ولله ﷻ أن يمتحِنَ عبادَه بما شاء من التخفيف والتّثقيل، ويبلُوَ أخبارَهم كيف أحَبَّ من المحبوب والمكروه، ولـكلِّ زمانٍ ضرب من المصلحة ونوعٌ من المِحْنة، وشكلٌ من العبادة، ومن الدَّليل على أنّ الله تعالى حَلّ تلك العقدة، وأطلق ذلك التعقيد والحُبْسة، قولُه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢﴾ طـه. إلى قوله: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ طه.

---

(١) المصدر نفسه ١/١.

فلم تقع الاستجابة على شيءٍ من دعائه دون شيء؛ لعُموم الخبر، وسنقُول في شأنِ موسى عليه السلام ومسألتِه[1].

وذكر الله تبارك وتعالى جميلَ بلائه في تعليم البيان، وعظيمَ نِعمته في تقويم اللسان، فقال: « ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ الرحمن. وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾ آل عمران.

ومدح القرآنَ بالبيان والإفصاح، وبِحسن التَّفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ، وسماه فرقانًا، كما سمّاه قرآنًا، وقال: ﴿عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ۝١٠٣﴾ النحل.

وقال ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا ۝١١٣﴾ طه.

وقال: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ النحل.

وقال: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ۝١٢﴾ الإسراء.

وذكر الله عز وجل لنبيّه عليه السلام حالَ قريش في بلاغةِ المنطق، ورجاحة الأحلام، وصحّة العقول، وذكر العربَ وما فيها من الدَّهاء والنَّكراء والمَكْر، ومن بلاغة الألسنة، واللَّدَدِ عند الخُصومة، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ۝١٩﴾ الأحزاب. وقال: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ۝٩٧﴾ مريم. وقال: ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ البقرة.

---

(١) المصدر السابق ٢/١.

وقال: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الزخرف ثم ذكر خلابةَ ألسنتهم، واستمالتهم الأسماعَ بِحُسنِ منطقهم، فقال: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ ﴿٤﴾ ﴾ المنافقون.

ثمَّ قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ البقرة.

وقيل في البشاشة وحسن الاستقبال: إنّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى.

وقال الآخر:

لحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتُه ... ولم يُلهِني عنه غزالٌ مقنَّعُ
أُحَدِّثُه إنّ الحديثَ من القِرى ... وتعلمُ نفسي أنّه سوف يهجعُ

ولذلك قال عمرو بن الأهتم [1]:

فقلت له: أهلاً وسهلاً ومرحبًا ... فهذا مَبيتٌ صالحٌ وصديقُ

وقال آخر [2]:

أُضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزال رَحْلِه ... ويُخصب عندي والمحلُّ جَديبُ
وما الخِصْبُ للأضياف أن يكثُرَ القِرَى ... ولكنّما وجهُ الكريمِ خصيبُ

وفي التصوير بالنظر:

قال تعالى ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ ﴾ القلم.

---

(١) المصدر نفسه ١٣/١.

(٢) المصدر نفسه ٣/١.

وقد قال الشاعر في نظر الأعداء بعضِهم إلى بعض:

يتقارضون إذا التَقَوْا في موقفٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِئَ الأقدامِ

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ٤﴾ إبراهيم.

لأنَّ مدار الأمر على البيان والتبيُّن، وعلى الإفهام والتَّفهُّم، وكلّما كان اللّسانُ أبْيَنَ كان أحمدَ، كما أنّه كلما كان القلبُ أشدّ استبانةً كان أحمد، والمفهمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان في الفضل، إلّا أنّ المفهِم أفضل من المتفهِّم وكذلك المعلِّم والمتعلِّم، هكذا ظاهرُ هذه القضية، وجمهور هذه الحكومة، إلا في الخاصّ الذي لا يُذكَر، والقليلِ الذي لا يُشهر، وضرب الله ﷻ مثلاً لعيِّ اللسان ورداءة البيان، حين شبّه أهلَه بالنساء والولدان: فقال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾ الزخرف.

ومن أجْل الحاجة إلى حُسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقَها من الفصاحة رامَ أبو حذيفةَ إسقاطَ الراء من كلامه، وإخراجَها من حروفِ منطِقه؛ فلم يزل يكابِد ذلك ويغالبُه، ويناضله ويساجله، ويتأتَّى لسَتره والراحةِ من هُجْنته، حتَّى انتظم له ما حاول، واتَّسق له ما أمَّل، ولولا استفاضةُ هذا الخبرِ، وظهورُ هذه الحال حتّى صار لغرابته مثلاً، ولطَرافته مَعْلمًا، لما استجَزْنا الإقرارَ به، والتأكيدَ له، ولستُ أَعْنِي خُطَبه المحفوظة، ورسائله المخلَّدة؛ لأنَّ ذلك يحتمل الصَّنعة، وإنما عَنيْتُ محاجَّة الخصوم، ومناقلةَ الأكْفاء، ومفاوضةَ الإخوان، واللُّثغة في الراء تكون: بالغين، والذال، واليـاء، والغينُ أقلُّها قبحًا، وأوجَدُها في كبار الناس، وبلغائهم، وأشرافهم، وعلمائهم.

وكانت لُثْغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين، فإذا حمل على نفسه وقوَّم لسانه أخرج الراء، وقد ذكره في ذلك أبو الطُّرُوق الضبّيّ، فقال:

عليمٌ بإبدال الحروف وقامعٌ لكلِّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُه

وكان واصلُ بن عطاءٍ قبيحَ اللُّثغة شنيعَها، وكان طويلَ العنق جِدًّا، ولذلك قال بَشَّارٌ الأعمى:

ما لي أشايعُ غزَّالاً له عنقٌ كنِقْنِقِ الدَّوِّ إن ولّى وإن مَثَلا
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالي وبالُكُمُ أتُكْفِرون رجالاً أكفَروا رجُلا

فلما هجا واصلاً وصوَّب رأيَ إبليسَ في تقديم النَّار على الطِّين، وقال:

الأرض مظْلمةٌ والنارُ مُشرِقةٌ والنار معبودةٌ مذْ كانت النارُ

وجعل واصل بنَ عطاءٍ غَزَّالاً، وزعَم أنَّ جميعَ المسلمين كفَروا بعد وفاة الرسول، فقيل له: وعليٌّ أيضًا؟ فأنشد:

وما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو بصاحبك الذي لا تَصْبَحينا

قال واصلُ بن عطاءٍ عند ذلك: أمَا لهذا الأعمى الملحِد المُشنَّف المكَنَّى بأبي معاذٍ مَن يقتله، أما والله، لولا أن الغِيلة سجِيَّةٌ من سجايا الغالية، لبعثْتُ إليه من يبعَج بطنه على مضجعه، ويقتُله في جوف منزلِه وفي يوم حَفْله، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عُقَيليٌّ أو سَدُوسيّ، قال إسماعيل بن محمّدٍ الأنصاريُّ، وعبدُ الكريم ابن رَوح الغِفَاريّ: قال أبو حفص عُمر بن أبي عثمان الشَّمَّرِيُّ: ألا تَريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا، وأنتما لِلَّذي تريان من سلامته، وقلة ظهور التكلُّف فيه، لا تظُنّان به التكلّف، مع امتناعه من حَرْفٍ كثير الدَّوران في الكلام، ألا تريانِ أنّه حين لم يستطعْ أن يقول بشَّار، وابن بُرد، والمرعَّث، جعل المشنَّف بدلاً من المرعَّث، والملحِد بدلاً من الكافر؛ وقال: لولا أنّ الغِيلة سجيَّةٌ من سجايا الغالية،

ولم يذكـر المنصوريّة ولا المُغيريَّة ؛ لمـكان الراء ؛ وقال: لبعثت من يبعج بطنه، ولم يقـل: لأرسلتُ إليه ؛ وقال: عَلَـى مضجعه، ولم يقل: على فراشه، وكان إذا أراد أن يَذْكُـر البُرَّ قال: القمح أو الحنطة، والحنطةُ لغـةٌ كوفيَّة، والقمح لغة شاميّة، هذا وهو يعلم أنّ لغةَ من قال بُرّ، أفصحُ من لغة مَن قال قمح أو حنطة [1]).

قال قطرب [2]: أنشدني ضِرار بن عمرو قولَ الشاعر في واصل بن عطاء:

ويجعل البُرَّ قمحًا في تصرُّفه ... وجانَبَ الراءَ حتّى احتال للشَعَرِ

ولم يُطِقْ مطَرًا والقول يُعجِلُه ... فعاذَ بالغيث إشفاقًا من المَطرِ

قال الجاحظ في البيان[3]:

قـال بعضُ جهابذة الألفاظِ ونُقّاد المعاني: المعاني القائمة في صدور النّاس المتصـوَّرَة في أذهانهم والمتخلِّجة في نفوسهـم، والمتَّصِلة بخواطرهم، والحادثة عـن فِكَرهـم، مستورةٌ خفيّـة، وبعيدةٌ وحشيـة، محجوبةٌ مكنونـة، وموجودةٌ في معنَـى معدومـةٍ، لا يعرف الإنسـانُ ضميرَ صاحِبـه، ولا حاجة أخيـه وخليطِه، ولا معنَـى شريكِـهِ والمعـاونِ له على أمـوره، وعلى ما لا يبلغه مـن حاجات نفسه إلاّ بغـيره، وإنما يُحيي تلـك المعانيَ ذكرُهم لها، وإخبارُهـم عنها، واستعمالُهم إيّاها، وهذه الخصالُ هي التي تقرّبها من الفهم، وتُجَلِّيها للعقْل، وتجعل الخفيَّ منها ظاهرًا، والغائبَ شاهـدًا، والبعيدَ قريبًا، وهي التي تلخِّص الملتبِس، وتحلُّ المنعقد، وتجعل المهمَل مقيَّدًا، والمقيَّد مطلقًا، والمجهولَ معروفًا، والوشيَّ مألوفًا، والغُفْـل موسومًـا، والموسومَ معلومًا، وعلى قَدر وُضـوح الدَّلالة وصوابِ الإشارة، وحسـن الاختصار، ودِقّةِ المَدْخَل، يكون إظهارُ المعنى، وكلّما كانت الدَّلالة أوضَحَ

(١) المصدر السابق ٥/١.

(٢) المصدر نفسه ٦/١.

(٣) المصدر نفسه ٢٣/١ .

وأفْصَـح، وكانـت الإشارةُ أبينَ وأنْـوَر، كان أنفعَ وأنْجَـع، والدَّلالة الظاهرةُ على المعنى الخفيِّ هو البيانُ الذي سمِعْتَ الله يمدحُه، ويدعو إليه ويحثُّ عليه، بذلك نَطَقَ القُرآنُ، وبذلك تفاخَرَت العَرب، وتفاضَلَتْ أصنافُ العَجَم.

والبيـان اسمٌ جامـعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنـى، وهتكَ الحِجَاب دونَ الضمـير؛ حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُـم على محصولِهِ كائنًا ما كان ذلـك البيانُ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِي القائـل والسّامع، إنَّما هـو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْـتَ الإفهامَ، وأوضَحْتَ عـن المعنى، فذلك هو البيـانُ في ذلك الموضع، ثم اعلم - حفِظَكَ الله - أنّ حُكْمَ المعـاني خلافُ حُكمِ الألفـاظ ؛ لأنّ المعانِيَ مبسوطةٌ إلى غير غاية، وممتدّةٌ إلى غير نهاية، وأسماءَ المعاني مقصورةٌ معدودة، ومحصَّلةٌ محدودة، وجميعُ أصنافِ الدَّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياءَ لا تنقُص ولا تَزيد:

أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثم الخَطّ، ثمَّ الحالُ التي تسمّى نِصْبةً، والنِّصبـة هي الحال الدّالةُ، التي تقوم مقامَ تلك الأصنافِ، ولا تقصِّرُ عن تلك الـدَّلالات، ولكلِّ واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائِنةٌ من صورة صاحبتها، وحليةٌ مخالفـةٌ لحِلْية أُختها ؛ وهـي التي تكشِف لك عن أعيان المعـاني في الجملة، ثمَّ عن حقائقهـا في التَّفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصِّها وعامِّها، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ، وعمّا يكون منها لَغْوًا بَهْرَجًا، وساقطًا مُطَّرَحًا.

قـال أبو عُثمـان: وكان في الحقِّ أن يكـون هذا البـابُ في أوَّل هذا الكتاب، ولكنَّـا أَخَّرْنـاه لِبعض التَّدبير، وقالـوا: البيان بَصَرٌ، والعِيُّ عمـىً، كما أنّ العلم بصرٌ والجهلَ عمى، والبيانُ من نِتاج العِلم، والعِيُّ من نِتاج الجهل.

وقـال سهلُ بن هـارون: العقل رائـد الـرُّوح، والعلمُ رائدُ العقـل، والبيان تَرجمان العلم، وقال صاحبُ المنطق: حَدُّ الإنسانِ: الحيُّ النَّاطق المبِين.

وقالـوا: حياةُ المروءة الصّدق، وحياة الرُّوح العفـاف، وحياة الحِلم العِلم، وحياة العِلم البيان.

وقـال يونسُ بنُ حبيب: ليس لعييّ مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولو حَكَّ بيافوخِهِ أَعْنَانَ السَّماء.

وقالوا: شعرُ الرَّجل قطعةٌ من كلامه، وظنُّهُ قطعةٌ من علمِه، واختيارُه قطعةٌ من عقلِه، وقال ابنُ التَّوْأم: الرُّوح عِماد البدَن، والعِلْم عِماد الرُّوح، والبيان عماد العلم.

قـد قلنـا في الدَّلالة باللفـظ، فأمّـا الإشارة فباليـد، وبالرأس، وبالعين، والحاجـب، والمَنْكِب إذا تباعَدَ الشخصان، وبالثَّـوب وبالسَّيف، وقد يتهدَّد رافعُ السَّيـف والسَّوط، فيكـون ذلك زاجرًا، ومانعًـا رادعًا، ويكون وعيـدًا وتحذيرًا، والإشـارة واللّفـظ شريكان، ونِعْم العـونُ هي له، ونعم الترجمـانُ هي عنه، وما أكـثَرَ ما تنوب عن اللّفظِ، وما تُغني عن الخطِّ، وبعدُ فهل تَعدو الإشارةُ أن تكون ذاتَ صـورةٍ معروفةٍ، وحِلْية موصوفـة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها، وفي الإشارة بالطَّرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفقٌ كبير، ومَعُونة حاضرة في أُمـورٍ يسترُها بعضُ النَّاسِ مـن بعض، ويخفونها من الجليس وغيرِ الجليس، ولـولا الإشارةُ لم يَتفاهم النَّاسُ معنًى خاصّ الخاصّ، ولَجَهلوا هذا الباب البتّة، ولولا أن تفسيرَ هذه الكلمة يَدخل في باب صناعة الكلام لفسَّرتها لكم، وقد قال الشاعر في دَلالات الإشارة:

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها ... إشـارةَ مـذْعـورٍ ولم تتكَلَّمِ
فأيقنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قد قال: مرحبًا ... وأهـلا وسـهلا بالحبيب المتيَّمِ

وقال الآخر:

ولـلـقـلـب عـلـى الـقـلـب ... دلـيـلٌ حـيـنَ يـلـقـاهُ

وفي النَّاسِ من الناس مقاييسُ وأشباهُ
وفي العينِ غنى للمر ءِ أنْ تنطقَ أفواهُ

وقال الآخر في هذا المعنى:

ومَعشرٍ صِيدٍ ذوِي تجَلَّةْ ترى عليهم للنّدى أدلّةْ

وقال الآخر:

ترى عينُها عَيْنِي فتعرف وَحْيَها وتعْرف عيني ما به الوَحْيُ يرجعُ

وقال آخر:

وعينُ الفتى تُبدي الذي في ضميره وتعْرِف بالنجوَى الحديثَ المعَمَّسا

وقال الآخر:

العينُ تُبدِي الذي في نفسِ صاحبها من المحبة أو بُغضٍ إذا كانا
والعينُ تنطق والأفواهُ صامتةٌ حتَّى ترى من ضمير القلب تِبْيانا

هذا، ومبلغُ الإشارة أبعَدُ من مبلغ الصَّوت، فهذا أيضًا باب تتقدَّم فيه الإشارةُ الصوتَ، والصوتُ هو آلةُ اللَّفظِ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع، وبه يُوجَد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا ولا منثورًا إلّا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلامًا إلا بالتقطيع والتأليف، وحُسنُ الإشارة باليدِ والرأسِ مِن تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّلِّ والشَّكل والتقتُّل والتَثَنِّي، واستدعاء الشّهوة، وغير ذلك من الأمور، قد قُلْنا في الدّلالة بالإشارة، فأمّا الخطُّ، فمما ذكَر اللهُ عزّ وجلّ في كتابه من فضيلة الخَطِّ والإنعام بمنافع الكتاب، قولُه لنبيِّه عليه السلام: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ العلق.

وأقسم به في كتابه المُنْزَل على نبيّه المُرسَل، حيث قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ القلم.

ولذلك قالوا: القَلَم أَحَدُّ اللِّسانين.

كما قالوا: قِلّة العِيال أَحَدُّ اليَسارَين.

وقالوا: القلمُ أبقى أثرًا، واللسان أكثرُ هَذَرًا.

وقال عبدُالرحمن بن كيسان: استعمال القلم أجدَرُ أن يحضَّ الذِّهن على تصحيح الكتاب، من استعمال اللِّسان على تصحيح الكلام.

وقالوا: اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر، والقلمُ مطلقٌ في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن، مثلُه للقائم الرَّاهن، والكتاب يُقرَأ بكلِّ مكان، ويُدرَس في كلِّ زمان ؛ واللسان لا يَعْدُو سامعَه، ولا يتجاوزُه إلى غيره [1].

وقال عليٌّ رحمه الله: قيمة كلِّ امرئٍ ما يُحسِن، فلو لم نَقف من هذا الكتابِ إلّا على هذه الكلمة لوجدْناها شافيةً كافية، ومجزئة مغْنِية؛ بل لوَجدناها فاضلةً عن الكفاية، وغيرَ مقصِّرة عن الغاية، وأحسنُ الكلام ما كان قليلُه يُغْنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظِه، وكان الله عزّ وجلّ قد ألبسَه من الجَلالة، وغَشّاه من نُور الحكمة على حَسَب نيّة صاحبه وتقوَى قائِله، فإذا كان المعنى شريفًا واللفظُ بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا من الاستكراه، ومنزَّهًا عن الاختلالِ مصونًا عن التكلُّف، صنَعَ في القُلوب صنيعَ الغَيث في التُّربة الكريمة، ومتى فَصَلت الكلمةُ على هذه الشّرِيطة، ونفذَتْ من قائلها على هذه الصِّفة، أَصَحبَها الله من التوفيق ومَنَحَها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدورُ الجبابرة،

(١) البيان والتبيين ١/٢٤.

ولا يذهَل عن فهمها معه عقولُ الجَهَلة، وقد قال عامر بن عبد قيس: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعتْ في القلب، وإذا خرجت من اللِّسان لم تجاوِز الآذان، وقال الحسنُ رحمه الله، وسمِع رجلاً يَعِظ، فلم تقع موعظتُه بموضعٍ مِن قلبه، ولم يرِقَّ عندها، فقال له: يا هذا، إنّ بقلبك لَشَرًّا أو بقلبي.

وقال عليُّ بنُ الحسَين بنِ علي رحمه الله: لو كان النّاسُ يعرِفون جُملةَ الحال في فضل الاستبانة، وجملةَ الحال في صواب التَّبيين، لأَعرَبُوا عن كلِّ ما تخَلَّجَ في صدُورِهم، ولَوجَدوا من بـرْدِ اليقين ما يُغْنيهم في الأيّام القليلة العِدّة، والفِكْرة القصيرة المُدّة، ولكنَّهم من بين مغمورٍ بالجَهْل، ومفْتُون بالعُجْب، ومعدولٍ بالهوى عن باب التثبُّت، ومصروفٍ بسوء العادة عن فَضْلِ التَّعلُّم، وقد جَمَع محمَّد بنُ عليّ بن الحسين صلاحَ شأن الدُّنيا بحذافيرِها في كلمتين، فقال: صلاحُ شأن جميعِ التّعايُشِ والتعاشر، مِلءُ مكيالٍ ثلثاه فِطنة، وثلثُه تغافُل، فلم يجعَلْ لغير الفِطنة نصيبًا من الخير، ولا حظًّا في الصلاح؛ لأنّ الإنسان لا يتغافل إلا عن شيءٍ قد فَطِن له وعَرَفه، وذكر هذه الثلاثة الأخبارَ إبراهيمُ بنُ داحَة، عن محمَّد بن عمير، وذكرها صالح بن عليّ الأفقم، عن محمد بن عُمَيْر، وهؤلاء جميعًا من مشايخ الشِّيَع، وكان ابنُ عمير أغْلاهم، وأخبرني إبراهيمُ بن السِّنديّ، عن عليّ بن صالحٍ الحاجب، عن العباس بن محمد قال: قيل لعبد الله ابن عبّاس: أنَّى لك هذا العِلمُ؟ قال: قلبٌ عَقُولٌ، ولسانٌ سَؤُول، وقد روَوْا هذا الكلامَ عَن دَغفَل بن حنظلةَ العلّامة وعبدُ الله أوْلَى به منه، والدّليل على ذلك قولُ الحسن: إنّ أوّلَ مَن عرَّف بالبَصرة ابنُ عباسٍ، صعد المنبر فقرأ سورةَ البقرة، ففسَّرَها حرفًا حرفًا، وكان مِثَجًّا يسيل غَرْبًا، المِثَجُّ: السائل الكثير، وهو من الثَّجّاج، والغَرْب، ها هنا: الدَّوّام، هشام بن حسّانَ وغيرُه، قال: قيل للحسن: يا أبا سعيد، إنّ قَومًا زعمُوا أنّك تذمُّ ابنَ عباسٍ، قالوا: فبكى حتَّى اخضلَّت لحيتُه، ثم قال: إنّ ابنَ عباسٍ كان من الإسلام بمكان، إنّ ابن عبّاس

كان مـن القرآنِ بمـكان، وكان والله له لسـانٌ سَؤُولٌ، وقلب عَقُـول، وكان والله، مِثَجًّا يسيل غَرْبًا.

قالـوا: وقال عليٌّ بـن عبد الله بن عباس: من لم يجد مَسَّ الجهل في عقله، وذُلَّ المعصيـة في قلْبـه، ولم يَستبِنْ موضع الخَلَّةِ في لسانـه، عند كلال حَدِّه عن حَـدِّ خَصمه، فليس ممّن يَنْزِع عن ريبة، ولا يَرغبُ عن حال مَعْجَزةٍ، ولا يكترث لفَصْلِ ما بين حُجة وشُبهةٍ.

قالوا: وذكَر محمَّدُ بن عليّ بن عبد الله بن عباس، بلاغَةَ بعض أهلِه فقال: إنيٌّ لأكْـرهُ أن يكـون مقدارُ لسانـه فاضلاً على مقدار عِلمه، كمـا أكره أن يكون مقدارُ علمه فاضلاً على مقدار عقله[1].

وهذا كلامٌ شريفٌ نافع، فاحفظوا لفْظَه وتدبَّرُوا معناه، ثمّ اعلموا أنّ المعنى الحقـيرَ الفاسـدَ، والدنيَّ الساقـط، يعشِّش في القلب، ثم يَبيض ثـم يفرِّخ، فإذا ضَـرَب بجرانِهِ ومَكَّن لعُروقه، استفحل الفساد وبَزَل، وتمكّن الجهل وقَرَحَ، فعند ذلك يقوى داؤه، ويمتنع دواؤُه ؛ لأنّ اللفظَ الهجينَ الرديّ، والمستكْرَهَ الغبِيّ، أعلَقُ باللِّسـان، وآلف للسمع، وأشدُّ التحامًا بالقلب من اللفظ النَّبِيه الشّريف، والمعنى الرَّفيع الكريم، ولـو جالَسْتَ الجُهّالَ والنَّوْكى، والسُّخَفاءَ والحمقَى، شهرًا فقط، لم تَنْقَ من أوضار كلامهم، وخَبَال معانيهم، بمجالَسة أهل البيان والعقل دهرًا ؛ لأنّ الفسادَ أسرعُ إلى النَّاس، وأشَدُّ التحامًا بالطبائع، والإنسانُ بالتّعلُّم والتكلُّف، وبطُول الاختلاف إلى العلماء، ومدارَسَةِ كُتُبِ الحكماء، يَجُودُ لفظُه ويحسُن أدبُه، وهـو لا يحتـاج في الجهل إلى أكثَر من ترك التعلُّم، وفي فساد البيان إلى أكثر من تـرك التخيُّر، وممـا يؤكِّد قولَ محمّد بن عليّ بن عبد الله بـن عبّاس، قولُ بعض

(١) المصدر السابق ١/٢٦.

الحكمـاء حين قيل له: متـى يكون الأدبُ شـرًّا مِن عدمه؟ قـال: إذا كثُر الأدب، ونَقَصَـت القريحة، وقد قال بعضُ الأوَّلين: مَن لم يكن عقلُه أغلبَ خصال الخَير عليه، كان حتْفُه في أغلَب خصال الخير عليه، وهذا كلّه قريبٌ بعضُه من بعض.

وذكـر المغيرةُ بن شُعْبة عُمَر بنَ الخطّـاب -رحمه الله-، فقال: كان والله، أفضَلَ من أن يَخْدَع، وأعْقَلَ من أن يُخْدَع.

وقال محمّد بن عليّ بن عبدالله بن عباس: كفَاكَ مِن عِلْمِ الدين أن تعرِف ما لا يسَعُ جَهلُه، وكفاك مِن علم الأدب أن تروِي الشّاهدَ والمَثل.

وكان عبدُالرحمـنِ بنُ إسحـاقَ القاضي يروي عن جده إبراهيم بن سلمة، قـال: سمعتُ أبا مسلم يقول: سمِعـت الإمام إبراهيمَ بنَ محمّدٍ يقول: يكفي من حـظِّ البلاغة ألا يُؤتَى السَّامعُ من سوء إفهام النَّاطق، ولا يُؤتَى النَّاطقُ من سوء فهم السَّامع.

قـال أبـو عثمان: أما أنـا فأستحسنُ هـذا القَوْلَ جدًّا، بسـم الله الرحمن الرحيـم الحمـد لله، ولا حول ولا قُـوَّة إلاّ بالله، وصلّى الله علـى محمّدٍ خاصَّة، وعلـى أنبيائِه عامة، خبَّرني أبو الزُّبير كاتـبُ محمَّدِ بن حَسَّان، وحدّثني محمد ابن أبان ولا أدري كاتب مَن كان - قالا: قيل للفارسيّ: ما البلاغة؟

قال: معرفة الفَصْل من الوصل.

وقيل لليونانيّ: ما البلاغة؟

قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكَلام.

وقيـل للروميّ: ما البلاغة؟ قال: حسـن الاقتضاب عند البداهة، والغَزارة يَوْمَ الإطالة، وقيل للهنديّ: ما البلاغة؟

قال: وضُوح الدّلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقال بعضُ أهل الهند: جِمَاع البلاغة البَصر بالحُجّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحُجة، والمعرفة بمواضع الفُرصة، أن تدَعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاحُ أوعَرَ طريقةً، وربما كان الإضرابُ عنها صفحًا أبلَغَ في الدَّرَك، وأحقَّ بالظَّفَر، قال: وقال مَرَّةً: جِمَاع البلاغة التماس حُسن الموقع، والمعرفةُ بساعات القول، وقلة الخَرَقِ بما التبَسَ من المعاني أو غَمُضَ، وبما شَرَد عليك من اللّفظ أو تعذّر، ثم قال: وزَينُ ذلك كلّه، وبهاؤُه وحلاوتُه وسناؤُه، أن تكون الشّمائلُ موزونةً، والألفاظُ معدَّلةً، واللهجة نقيَّة، فإنّ جامَعَ ذلك السنُّ، والسمتُ، والجمال، وطولُ الصَّمت، فقد تَمَّ كلَّ التمام، وكمل كلَّ الكمال، وخالَفَ عليه سهلُ بن هارونَ في ذلك، وكان سهلٌ في نفسه عتيقَ الوجه، وحسنَ الشّارةِ، بعيدًا من الفَدَامة، معتدل القامة، مقبول الصُّورة، يُقضَى له بالحكمة قبل الخبرة، وبِرقّةِ الذِّهن قبل المخاطبة، وبدقّة المذهب قبل الامتحان، وبالنُّبْل قبل التكشُّف، فلم يمنَعْه ذلك أن يقول ما هو الحقُّ عِنده، وإن أدخَلَ ذلك على حالِه النَّقْص[1].

وقال الجاحظ: للكلام غايةٌ، ولنشاط السَّامعين نِهاية، وما فَضَل عن قدْر الاحتمال، ودعا إلى الاستثقال والمَلَال، فذلك الفاضل هو الهَذَر، وهو الخَطَل، وهو الإسهاب الذي سمِعتَ الحكماءَ يَعيبُونه.

قال: كان مطرِّف بن عبد الله يقول: لا تُطعِم طعامَك مَن لا يشتهيه، يقول: لا تُقبِلْ بحديثك على مَن لا يقبلُ عليه بوجهه.

وقال عبدُ الله بنُ مسعود: حَدِّث النّاسَ ما حَدَجُوك بأبصارهم، وأذِنُوا لك بأسماعِهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترةً فأمْسِكْ.

هذا كلامٌ يُكتَفى بأُولاه، ويُشتَفَى بأُخراه.

(١) المصدر السابق: ص ٢٦- ٣١.

وقال آخر:

إنَّ الكلامَ مِنَ الفؤادِ وإنمَّا ... جُعِلَ اللِّسانُ على الفؤاد دليلا
لا يُعجِبنّك من خطيب قولُهُ ... حتّى يكونَ مع البيان أصيلا

وقال نُصَيبٌ، مولى عبد العزيز بن مروان:

يقول فيُحسنُ القولَ ابنُ لَيلَى ... ويفعل فوقَ أحْسَنِ ما يقولُ

وقال آخر:

فتىً مثلُ صَفْو الماء ليس بباخلٍ ... عليك ولا مُهْدٍ مَلامًا لَبَاخِل
ولا قائلٍ عَوْراءَ تؤذِي جليسَه ... ولا رافع رأسًا بعوراء قائِل
ولا مُسْلِمٍ مولىً لأمرٍ يُصيبُه ... ولا خالطٍ حقًّا مصيبًا بباطل
ولا رافعٍ أحدوثَة السَّوءِ مُعْجبًا ... بها بين أيدِي المجلسِ المتقابِل

وسمع الأحنفُ رجلاً يقول: التعلُّم في الصِّغَر كالنَّقش في الحجر.

فقال الأحنف: الكبيرُ أكبرُ عقلاً، ولكنه أَشْغَل قلبًا.

يكتب الرَّجلُ أحسنَ ما يسمع، ويحفظ أحسن ما يكتب، وكان يقال: اجعل ما في كتبك بيتَ مال، وما في قلبك للنَّفَقة.

وقال أَعرابيّ: حَرْفٌ في قلبك خير من عشرة في طُومارك.

ولبشّار أيضًا:

وكأنَّ رَفْضَ حديثها ... قِطَعُ الرّياض كُسِين زَهْرا
وتخالُ ما جَمَعت عليه ... ثيابَها ذهبًا وعِطرا
وكأنّ تحتَ لسانِها ... هاروتَ ينفُثُ فيه سِحرا

وقال بشّار:

وحـديـث كـأنـه قِـطَـعُ الـرو ... ض وفيه الصّفراءُ والحمراءُ

وقال الهُذَليُّ أيضًا:

وإنّ حديثًا منكِ لو تبذلينَهُ ... جَنَى النَّحْلِ أو ألبانُ عُوذٍ مَطَافِلِ

مطافيلَ أبْكارِ حديثٍ نتاجُها ... تُشاب بماءٍ مثل ماء المَفَاصِلِ

وقال القُطَاميُّ:

وفي الخدور غماماتٌ بَرَقن لنا ... حَتَّى تصيّدْنَنَا من كلّ مُصْطَادِ

يقتُلْنَنا بحديثٍ ليس يَعلَمُه ... مَن يتّقينَ ولا مكنونُهُ بادِي

فهنَّ ينبِذْنَ من قول يُصِبنَ به ... مَواقعَ الماء من ذي الغُلّةِ الصَّادِي

يَنبِذْن: يُلقِين، الغُلّة والغليل: العطش الشّديد، والصادي: العَطشان أيضًا؛ والاسمُ الصَّدَى.

وأنشد أبو العميثل عبد الله بن خليد:

وإنّا لنُجري بيننا حين نلتقِي ... حديثًا له وشْيٌ كَحِبْر المَطَارِفِ

حديث كطعم القَطْرِ في المَحْلِ يُشْتَفَى ... به من جوىً في داخل القلب لاطِفِ

المَحْل: الجدب، وسنةٌ مَحولٌ، وأمحل البلد فهو ماحل ومُمحِل، وزمانٌ ماحلٌ وممحِل، الجوى ها هنا: شدّة الحبّ حتى يمرَضَ صاحبُه، لاطِفٌ: لطيف.

وقال جِرَان العَود:

فنِلنا سقاطًا من حديث كأنّه ... جَنَى النحل أو أبكارُ كَرْم يُقطَّفُ [1]

(١) جميع هذه الأقوال والأشعار وردت في البيان والتبيين: ص ٣١- ٧٦.

سرعـة البديهـة: ورد في أدب الكتاب للصـولي[1]: وجاء يومًا عبد الله بن المعتـز في المسجد الجامع إلى أبـي العباس أحمد بن يحيى ليسلم عليه، فقام له وأجلسه مكانه، فداس ابن المعتز قلمًا فكسره، فلما جلس قال لمن حوله:

لكفيَ وتـر عنـد رجْـلِـي لأنَّهـا أثـارت قتيلاً مـا لأعظُمِـه جبرُ

فعجب الناس من سرعة بديهته!.

قال ابن المقفع في الأدب الكبير والأدب الصغير[2]: انظر أين تضع نفسك؟ الواصفون أكثرُ من العارفين، والعارفون أكثرُ من الفاعلينَ.

فلينظرُ امرؤ أين يضعُ نفسه. فإن لكل امرئ لم تدخل عليه آفةً نصيبًا من اللـب يعيشُ به، لا يُحب أن لهُ به مـن الدنيا ثمنًا. وليس كل ذي نصيبٍ من اللب بمستوجـبٍ أن يسمـى في ذوي الألبابِ، ولا يوصفُ بصفاتهم. فمن رام أن يجعل نفسه لذلك الاسم والوصفِ أهلاً، فليأخذ له عتاده وليعد له طول أيامه، وليؤثره على أهوائهِ. فإنهُ قد رام أمرًا جسيمًا لا يصلحُ على الغفلة، ولا يدركُ بالعجزة، ولا يصيرُ على الأثرةِ. وليس كسائرِ أمورِ الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التي قد يدركُ منها المتواني ما يفوتُ الثابرُ، ويصيبُ منها العاجزُ ما يخطئ الحازمُ.

بالأدب تعمرُ القلوبُ، وبالعلمِ تستحكمُ الأحلامُ.

ماذا يجب على المرء؟

ليكنِ المرء سؤولاً، وليكن فصولاً بين الحق والباطل، وليكن صدوقًا؛ ليؤمن علـى ما قال، وليكن ذا عهـد ليوفي لهُ بعهده، وليكن شكـورًا ليستوجب الزيادة، وليكن جوادًا ليكون للخير أهـلاً، وليكن رحيمًا بالمضرورين؛ لئلا يبتلى بالضر،

(١) أدب الكتاب ١/١٥.

(٢) الأدب الكبير والصغير: ص ١- ٢٧.

وليكـن ودودًا؛ لئـلا يكون معدنًا لأخـلاق الشيطان، وليكن متواضعًـا؛ ليفرح لهُ بالخـير ولا يُحسد عليه، وليكن قنعًا؛ لتقرّ عينه بما أوتي، وليسر للناسِ بالخيرِ؛ لئـلا يؤذيـه الحسدُ، وليكن حذرًا؛ لئـلا تطول مخافتهُ، ولا يكونـن حقودًا؛ لئلا يضرّ بنفسهِ إضرارًا باقيًا، وليكن ذا حياء؛ لئلا يستذم إلى العُلماء.

فالرأيُ والأدبُ زوجٌ، لا يكملُ الرأي بغيرِ الأدبِ، ولا يكملُ الأدبُ إلا بالرأي.

تحفـظ في مجلسك وكلامكَ من التطاولِ علـى الأصحابِ، وطب نفسًا عن كثيرٍ مما يعرضُ لـك فيهِ صوابُ القولِ والرأي، مُداراةً؛ لئلا يظن أصحابكَ أن دأبكَ التطاوُلُ عليهم.

حسن الاستماع:

تعلم حسنَ الاستماعِ، كما تتعلمُ حسنَ الكلامِ. ومن حسنِ الاستماع إمهالُ المتكلمِ حتى ينقضي حديثهُ، وقلـة التلفت إلى الجوابِ، والإقبالُ بالوجهِ والنظر إلى المتكلمِ، والوعي لما يقولُ.

واعلـم، فيما تكلمُ بهِ صاحبكَ، أن مما يهجـنُ صوابَ ما يأتي به، ويذهبُ بطعمهِ وبهجتهِ، ويـزري به في قبولهِ، عجلتكَ بذلك، وقطعك حديثَ الرجل قبل أن يفضي إليك بذاتِ نفسهِ.

ومـن الأخلاقِ التي أنتَ جديرٌ بتركها، إذا حـدث الرجلُ حديثًا تعرفهُ، ألا تسابقـهُ إليه وتفتحهُ عليهِ، وتشاركهُ فيـه، حتى كأنكَ تظهر للناس أنك تريدُ أن يعلموا أنكَ تعلمُ مثل الذي يعلمُ.

وما عليكَ أن تهنئهُ بذلكَ وتفرده به.

قـال ابن المقفع: أما بعد، فإن لكل مخلوقٍ حاجـةً، ولكل حاجةٍ غايةً، ولكل غايـة سبيـلًا. والله وقَّت للأمُـور أقدارهـا، وهيـأ إلى الغايات سبلهـا، وسبب الحاجات ببلاغها.

فغايـةُ الناسِ وحاجاتهم صلاحُ المعاشِ والمعـاد، والسبيل إلى دركها العقل الصحيح. وأمارةُ صحةِ العقلِ اختيارُ الأمورِ بالبصرِ، وتنفيذُ البصرِ بالعزمِ.

لبعض الأكابر:

مـا وهـب الله لامـرئ هبـة أحسـن مـن عقلـه ومـن أدبـه

هـما جمـال الفتـى فـإن فُقِـدا ففقـده للحيـاة أجمـل بـه[1]

سمع أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا يتكلم بما لا يعنيه، فقال: يا هذا، إنما تملي على كاتبيك كتابًا إلى ربك.

سرعة البديهة من ثمرات الأوراق:

المهدي والقاضي شريك:

ومـن ذلك مـا روي عن المهدي، وهو أن شريك بـن عبد الله القاضي دخل عليـه يومًا، فأراد المهدي أن يبخـره، فقال للخادم أحضر للقاضي عودًا، فذهب الخـادم فجاء بالعود الذي يلهى به، فوضعه في حجر شريك، فاضطرب شريك من ذلك.

وقال: ما هذا، يا أمير المؤمنين؟

قـال: عود أخذه صاحب العسس البارحـة، فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضي.

(١) الأدب الصغير: ص ١- ٢٧.

فقال شريك: جزاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين.

ثم أفاضوا في الحديث، حتى نسي الأمر.

فقال المهدي لشريك: ما تقول في رجل أمر وكيلًا له أن يأتي بشيء بعينه فجاء بغيره، فتلف ذلك الشيء؟

فقال للخادم: اضمن ما أتلفت.

مثله ما نقل عن ذكاء إياس الذي سارت به الركبان:

قيل: إن رجلًا استودع أمينَ إياسٍ مالًا، وخرج المودع إلى الحجاز، فلما رجع طلبه، فجحده، فأتى إياسًا فأخبره.

فقال له إياس: أعلمته أنك أتيتني؟

قال: لا.

قال: أفنازعته عند غيري؟

قال: لا.

قال: فانصرف، واكتم سرك، ثم عد إلي بعد يومين.

فمضى الرجل، ودعا إياس أمينه، فقال: قد حضر عندنا مال كثير، أريد أن أسلمه إليك، أفحصين منزلك؟

قال: نعم.

قال: فأعد موضعًا للمال، وقومًا يحملونه.

وعاد الرجل إلى إياس.

فقال: انطلق إلى صاحبك، فإن جحد، فقل له: إني أخبر القاضي بالقصة.

فأتى الرجل صاحبه، فقال: تعطيني الوديعة أو أشكوك إلى القاضي، وأخبره بالحال، فدفع إليه المال، فرجع الرجل وأخبر إياسًا،

وقال: أعطاني الوديعة.

وجاء الأمين إلى إياس ليأخذ المال الموعود به، فزجره، وقال له: لا تقربني بعد هذا يا خائن.

ذكاء في القضاء:

ومثله أنه ولِّي القضاء رجل مشهور الدين والذكاء المفرط، فجاءه رجل استودع بعض الشهود كيسًا مختومًا، ذكر أن فيه ألف دينار، فلما حصل الكيس عند الشاهد وطالت غيبته، ظن أنه قد مات، فهمَّ بإنفاق المال، وخشي من مجيء صاحبه، ففتق الكيس من أسفله، وأخذ الدنانير، وجعل مكانها دراهم، وأعاد الخياطة كما كانت.

فقدر أن الرجل حضر إلى واسط، وطالب الشاهد بوديعته، فأعطاه الكيس بختمه، فلما حصل في منزله، فضَّ ختمه، فإذا في الكيس دراهم، فرجع إلى الشاهد، وقال له: أردد علي مالي، فإني أودعتك دنانير، والذي وجدت دراهم.

فأنكر، فاستدعى عليه إلى القاضي المتقدم ذكره، فلما حضرا بين يديه،

قال الحاكم للمستودع: منذ كم أودعك الكيس؟

قال منذ خمس عشرة سنة.

فقال القاضي لصاحب الكيس: أحضر لي الدراهم.فأحضرها.

فقال القاضي للشهود: اعتبروا تواريخ الدراهم.

فقرؤوا سككها، فإذا منها ما له سنتان، وثلاث سنين ونحو ذلك، فأمره أن يدفع له الدنانير.

فدفعها، وعزله القاضي، وأطاف به البلد وأسقطه.

ومثله بل أغرب منه أن رجلاً استودع رجلاً مالاً، ثم طلبه، فجحده، فخاصمه إلى إياس وقال المدعي: إني أطالبه بمال أودعته إياه، وقدره كذا وكذا.

فقال له إياس: ومن حضرك؟

قال: كان رب العزة حاضرًا.

قال: دفعته إليه في أي مكان؟

قال: في موضع كذا.

قال: فأي شيء تعهده من ذلك الموضع؟

قال: شجرة عظيمة.

قال: فانطلق إلى الموضع، وانظر إلى الشجرة؛ لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك أو لعلك دفنت مالك تحت الشجرة، فنسيت فتذكره إذا رأيت الشجرة.

فمضى الرجل مسرعًا.

فقال إياس للرجل المدعى عليه: اقعد حتى يرجع خصمك.

فجلس، وإياس يقضي بين الناس، ونظر إليه بعد ذلك، ثم قال له: يا هذا، أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكرها؟

قال: لا.

فقال له: والله، يا عدو الله، إنك لخائن.

فقال: أقلني أقالك الله يا أمير المؤمنين.

فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل.

فقال إياس: قد أقر بحقك فخذه [1].

قال ابن الأثير في المثل السائر[2]:

حفظ القرآن الكريم:

وأما النوع السادس: وهو حفظ القرآن الكريم فإن صاحب هذه الصناعة ينبغي له أن يكون عارفًا بذلك؛ لأن فيه فوائد كثيرة، منها أنه يضمن كلامه بالآيات في أماكنها اللائقة بها ومواضعها المناسبة لها، ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق، ومنها أنه إذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذه بحرًا يستخرج منه الدرر والجواهر، ويودعها مطاوي كلامه، كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات، وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام، فعليك أيها المتوشح لهذه الصناعة، بحفظه والفحص عن سره وغامض رموزه وإشاراته، فإنه تجارة لن تبور، ومنبع لا يغور، وكنز يرجع إليه، وذخر يعول عليه.

قال الثعالبي في سحر البلاغة وسر البراعة[3]:

ذكر القرآن:

حبل الله الممدود، وعهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، وحجته الكبرى، ومحجته الوضحى، هو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذي من استضاء

---

(١) ثمرات الأوراق.

(٢) المثل السائر ١١/١.

(٣) سحر البلاغة ١١/١.

بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنها زل وهوى، فضائل القرآن لا تستقصى في ألف قرآن. حجة الله وعهده، ووعيده ووعده، به يعلم الله الجاهل، ويعمل العاقل، وينتبه الساهي، ويتذكر اللاهي بشير الثواب، ونذير العقاب، وشفاء الصدور، وجلاء الأمور. ومن فضائله أنه يقرأ دائبًا، ويكتب ويمل فلا يمل. ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه، وتصور الموت أمامه. طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه، ومفتاح لبه. من خلق القرآن حفظ ترتيبه، وحسن ترتيله.

جاء في العمدة لابن رشيق[1]: باب المبدأ والخروج والنهاية، قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر: لقد طار اسمك واشتهر.

فقال: لأنني أقللت الحز، وطبقت المفصل، وأصبت مقاتل الكلام، وقرطست نكت الأغراض بحسن الفواتح والخواتم، ولطف الخروج إلى المدح والهجاء، وقد صدق؛ لأن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح، سبب ارتياح الممدوح، وخاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس؛ لقرب العهد بها؛ فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها.

وأنشد ابن عائشة قول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

قلدتك الشعر يا سلامة، ذا ... فايش، والشيء حيث ما جعلا

والشعر يستنزل الكريم كما ... ينزل رعد السحابة السبلا

جاء في رسائل الجاحظ:

فصل من صدر كتابه في صناعة الكلام: ذكرت - حفظك الله - تفضيلك صناعة الكلام، والذي خصصت به مذهب النظام، وشغفك بالمبالغة في النظر، وصبابتك بتهذيب النحل، مع أنسك بالجماعة، ووحشتك من الفرقة، والذي

(١) انظر العمدة ١/ ٢٧- ٢٨.

تم عليه عزمك من إدامة البحث والتنقير، ومن حمل النفس على مكروهها من التفكير، ومن الانتساب إليهم والتعرف بهم.

والذي تهيأ لك من الاحتساب في الأجر، والرغبة في صالح الذكر، والذي رأيت من النصب للرافضة والمارقة، وطول مفارقة المرجئة والنابتة، ولكل من اعترض عليهم، وانحرف عنهم، والذي يخص به الجبرية ويعم به المشبهة.

فيا أيها المتكلم الجماعي، والمتفقه السني، والنظار المعتزلي، الذي سمت همته إلى صناعة الكلام مع إدبار الدنيا عنها، واحتمل ما في التعرض للعوام من الثواب عليها، ولم يقنعه من الأديان إلا الخالص الممتحن، ولا من النحل إلا الإبريز المهذب، ولا من التمييز إلا المحض المصفى.

والذي رغب بنفسه عن تقليد الأغمار والحشوة، كما رغب عن ادعاء الإلهام والضرورة، ورغب عن ظلم القياس بقدر رغبته في شرف اليقين: إن صناعة الكلام علق نفيس، وجوهر ثمين، وهو الكنز الذي لا يفنى ولا يبلى، والصاحب الذي لا يمل ولا يغلّ، وهو العيار على كل صناعة، والزمام على كل عبارة، والقسطاس الذي به يستبان نقصان كل شيء ورجحانه، والراووق الذي به يعرف صفاء كل شيء وكدره، والذي كل أهل علم عليه عيال، وهو لكل تحصيل آلة ومثال.

ألا إنه ثغر والثغر محروس، وحمىً والحمى ممنوع، والحرم مصون، ولن تصونه إلا بابتذال نفسك دونه، ولن تمنعه إلا بأن تجود بمهجتك ومجهودك، ولن تحرسه إلا بالمخاطرة فيه. والثواب على قدر المشقة، والتوفيق على مقدار حسن النية.

وكيف لا يكون حرمًا، وبه عرفنا حرمة الشهر الحرام والحلال المنزل، والحرام المفصل؟! وكيف لا يكون ثغرًا، وكل الناس لأهله عدو، وكل الأمم له مطالب.

وأحـق الشـيء بالتعظيم، وأولاه بـأن يحتمل فيه كل عظيم مـا كان مسلمًا إلى معرفـة الصغير والكبـير، والحقير والخطير، وأداة لإظهـار الغامض، وآلة لتخليص الغاشية، وسببًا للإيجاز يوم الإيجاز، والإطناب يوم الإطناب.

وبـه يستدل على صرف ما بين الشرين مـن النقصان، وعلى فضل ما بين الخيرين من الرجحـان، والذي يصنع في العقول من العبارة، وإعطاء الآلة مثل صنيع العقل في الروح، ومثل صنيع الروح في البدن.

وأي شيء أعظم من شيء لولا مكانه لم يثبت للرب ربوبية، ولا لنبي حجة، ولم يفصل بين حجة وشبهة، وبين الدليل وما يتخيل في صورة الدليل. وبه يعرف الجماعة من الفرقة، والسنة من البدعة، والشذوذ من الاستفاضة.

واعلـم أن لصناعة الكلام آفات كثـيرة، وضروبًا من المكروه عجيبة، منها ما هو ظاهر للعيون والعقول، ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون، وبعضها وإن لم يظهـر للعيـون وكان مما يظهـر للعقول فإنه لا يظهـر إلا لكل عقل سليم جيد التركيـب، وذهن صحيح خالص الجوهر، ثم لا يدركه أيضًا إلا بعد إدمان الفكـر، وإلا بعد دراسة الكتب، وإلا بعد مناظرة الشكل الباهر، والمعلم الصابر. فإن أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية، فلا بد من شهوة قوية، ومن تفضيله على كل صناعة، مع اليقين بأنه متى اجتهد أنجح، ومتى أدمن قرع الباب ولج.

فإذا أعطى العلم حقه من الرغبة فيه، أعطاه حقه من الثواب عليه.

ومـن آفات صناعة الكلام أن يرى من أحسن بعضها أنه قد أحسنها كلها، وكل مـن خاصم فيها ظن أنـه فوق من خاصمه، حتى يرى المبتدئ أنه كالمنتهي، ويخيل إلى الغبي أنه فوق الذكي. وأيضًا أنه يعرض عن أهله، وينصب لأصحابه مـن لم ينظـر في علم قـط، ولم يخض في أدب منذ كان، ولم يـدرِ ما التمثيل ولا التحصيل، ولا فرق ما بين الإهمال والتفكير.

وهـذه الآفات لا تعتري الحساب ولا الكتاب، ولا أصحاب النحو والعروض، ولا أصحاب الخبر وحمال السير، ولا حفاظ الآثار ولا رواة الأشعار، ولا أصحاب الفرائض، ولا الخطباء ولا الشعراء، ولا أصحاب الأحكام، ومن يفتي في الحلال والحرام، ولا أصحـاب التأويل، ولا الأطباء ولا المنجمين ولا المهندسين، ولا لذي صناعة ولا لذي تجارة، ولا لذي عيلة ولا لذي مسألة.

فهـم لهذه البليـة مخصوصون، وعليهـا مقصورون، فللصابـر منهم من الأجـر حسب ما خص به مـن الصبر. وهي الصناعة لا يـكاد تظهر قوتها، ولا يبلغ أقصاها، إلا مع حضور الخصم.

ولا يـكاد الخصم يبلغ محبته منهـا إلا برفع الصوت وحركة اليد، ولا يكاد اجتماعهمـا يكـون إلا في المحفل العظيـم، والاحتشاد من الخصـوم، ولا تحتفل نفوسهمـا، ولا تجتمع قوتهما، ولا تجود القوة بمكنونها، وتعطي أقصى ذخيرتها التـي استخزنت ليوم فقرها وحاجتها، إلا يوم جمـع وساعة حفل، وهذه الحال داعية إلى حب الغلبة.

وليس شيء أدعى إلى التغلب من حب الغلبة. وطول رفع الصوت مع التغلب، وإفسـاد التغلب طباع المفسد، يوجبان فسـاد النية، ويمنعان من درك الحقيقة. ومتى خرجا من حد الاعتدال أخطأا جهة القصد.

وعلـم الكلام بعد ملقىً من الظلم، متاح له الهضم. فهو أبدًا محمول عليه ومبخوس حظه وباب الظلم إليه مفتوح، لا مانع له دونه.

والعلـم بما فيه من الضرر يخفى على أكـثر العقلاء، ويغمض على جمهور الأدباء. وإذا كان ملقىً من أكبر العقلاء، ومخذولاً عند أكثر الأدباء، فما ظنك بمـن كان عقلـه ضعيفًا ونظره قصـيرًا؟ بل ما ظنـك بالظلوم الغـادر، والغمر

الجاسر؟ فهذا سبيل العوام فيه، وجهل عوام الخواص به، وانحرافهم عنه، وميل الملوك عليه، وعداوة بعض لبعض فيه.

وصناعة الكلام كثيرة الدخلاء والأدعياء، قليلة الخلص والأصفياء، والنجابة فيها غريبة، والشروط التي تستحكم بها الصناعة بعيدة سحيقة؛ ولدعي القوم من العجز ما ليس لصحيحهم، ولردي الطبع في صناعة الكلام من ادعاء المعرفة ما ليس للمطبوع عليها منهم، بل لا تكاد تجده إلا مغمورًا بالحشوة مقصودًا بمخاتل السفلة.

ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات أن أصحاب الحساب والهندسة يزعمون أن سبيل الكلام سبيل اجتهاد الرأي، وسبيل صواب الحدس، وفي طريق التقريب والتمويه، وأنه ليس العلم إلا ما كان طبيعيًّا واضطراريًّا لا تأويل له، ولا يحتمل معناه الوجوه المشتركة، ولا يتنازع ألفاظه الحدود المتشابهة.

ويزعمون أنه ليس بين علمهم بالشيء الواحد أنه شيء واحد، وأنه غير صاحبه فرق في معنى الإتقان والاستبانة، وثلج الصدور والحكم بغاية الثقة.

فلو كان هذا المهندس الذي أبرم قضيته، وهذا الحاسب الذي قد شهر حكومته، نظر في الكلام بعقل صحيح وقريحة جيدة، وطبيعة مناسبة، وعناية تامة، وأعوان صدق وقلة شواغل، وشهوة للعلم، ويقين بالإصابة، لكان تهيب الحكم أزين به، والتوقي أولى به. فكيف بمن لا يكون عرف من صناعة الكلام ما يعرفه المقتصد فيه، والمتوسط له؟.

على أنا ما وجدنا مهندسًا قط، ولا رأينا حاسبًا يقول ذلك، إلا وهو ممن لا يتوقى سرف القول، ولا يشفق من لائمة المحصلين، وقضيته قضية من قد عرف

الحقائق، واستبان العواقب، ووزن الأمور كلها، وعجم المعاني بأسرها، وعلم من أين وثق كل واثق، ومن أين غر كل مغرور.

وعلى أنهم يقرون أن في الحساب ما لا يعلم، وأن في الهندسة ما لا يدرك ولا يفهم. والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم، وبذلك النقص في غرائزهم.

وأقول: إنه لو لم يكن في المتكلمين من الفضل إلا أنهم قد رأوا إدبار الدنيا عن علم الكلام، وإقبالها إلى الفتيا والأحكام، وإجماع الرعية والراعي على إغناء المفتي، وعلم الفتوى فرع؛ وإطباقهم على حرمان المتكلم، وعلم الكلام أصل، فلم يتركوا مع ذلك تكلفه، وشحت نفوسهم عن ذلك الحظ؛ مخافة إدخال الضيم على علم الأصل، وإشفاقًا من ألا تسع طبائعهم اجتماع الأصل والفرع، فكان الفقر والقلة آثر عندهم مع إحكام الأصول، من الغنى والكثرة، مع حفظ الفروع، فتركوا أن يكونوا قضاة، وتركوا القضاة وتعديلهم وتركوا أن يكونوا حكامًا، وقنعوا بأن يحكم عليهم، مع معرفتهم بأن آلتهم أتم، وآدابهم أكمل، وألسنتهم أحد، ونظرهم أثقب، وحفظهم أحضر، وموضع حفظهم أحصن.

والمتكلم اسم يشتمل على ما بين الأزرقي والغالي، وعلى مادونها من الخارجي والرافضي، بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة، بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذة.

وجاء في أدب الخواص [1]: واللسان جارحة يكمل بها النطق و المذاق، فما على من تكلم بما لا يعنيه، و في غير موقعه أن يتذوق ما لم يحصل في قرارة فمه، وأن يتمطق بالهواء طول دهره، و أن يعاتب ماضغه، ويصرف بأنيابه في غير

(١) أدب الخواص ٢/١.

ساعـة اغتدائـه، على أنه لو استحسن ذلك لما وجـب أن يستحسن إدامة الكلام لغير حينه، واللهج من القول بما لا ينفعه في شيء من أمره؛ لأن الأول قبيح وغير ضـار، والثاني قبيح وضار، وفاحش قتال، وهو أصل المضرة بـالأذى، وكما هو أصل المضرة بالعيب فهو موجه بالمعرة، ومعهم مخول في المساءة.

واللسان عضو مثل اليد والرجل، فما على من تكلم عاجزًا عن ملك لسانه، وملقيًـا إلى التهلكة الخرق والجهل بيده، أن يعبث بأنامله دائمًا لغير بطش، وأن يلبـط بقدمـه سرمدًا لغير سعي، ثـم يطرد المقياس عليه بـأن ينغض برأسه في جميع أوقاته، وأن يواقح به كل صفات تبدو لعينه.

قـد علم الله، وعلـم العالمون أن الآفـة ليست شيئًا غير العجـز والتعاجز، وغـير أن يعـود الخاطر الـوكال، ويحل عنـه ربـاط النهضة والاعتـزام، وغير الانسيـاح مع جريه الماء قبل جهـد النفس في الخلاص، والميل مع هبّة الريح من غـير أعذار بالاستمساك، ونعوذ بالله أن نخرق بنعمه فنعيدها نقمًا، وأن نفسد مثابتـه فنجعلها عقابًا، فإن اللسان نعمة من الله علـى عبده، فإن أحسن أيالته وملك تدبيره، وذلل بالرياضة جامحه، وركزه و راء قلبه، وأوطأه أعقاب تمييزه وتدبره، ولم يرسله إلا لخير في الدنيا أو لخير في الآخرة من إحراز نفع، وإزاحة مضـرة، وأقتـل الضر الـذل، فذاك هو الـذي يطب به إحسان بطبـه، ويستديم الأنعام بحسن سياسته، وإن أرسله و شأنه، وأعفاه من ولاية العقل عليه، وأجراه في الوعـث و الخبار، وأنطقـه بالصواب والمحال، أكتبه حصائـده في النار على وجهـه، بعـد أن تكسوه في الدنيا ليط عار لا ينسل منه، و تحوش له من العداوات منـزعجًا لا قرار معه، كما قال أبو عبد الله محمد بن ميسرة، وكان بليغًا شاعرًا وفقيهًا ناسكًا، وصاحب نظر وتأمل، وبيان وتبحر:

أكـــثر مـــن الـصـديـق لـــكـــل يـــــوم ضـــيـــق
مـــن أكـــــثر الـــعـــدوا لم يـســـتـطـع هـــدوا

وقال آخر:

ومـا أودعـــت أحـشـاء الـلـيـالي أضـر عليك مـن حقد الـرجال

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي:

لا تـأمـنن امـرأً أسكنت مهجته غيظًا وإن قيل: إن الجرح يندمل
واقبل جميل الذي يبدي وجاربه وليحرسنك من أفعاله الرجل

وقال حريث بن جابر الخنفي:

لا تـأمـنن الـدهـر حـرًا ظلمته وإن نمت فاعلم أنـه غير نائم
إذا كـان ذا عـودٍ صليب ومـرةٍ ركوبًا لإحـناء الأمـور العظائم

و قال آخر محدث:

نم عـــن مـــعـــاداة الـــرجـــا ل فـإنـهـا حسـك المضـاجـع
وإذا أذيـــت فـحـامِ عـنـد الـضـيـم مجـتـهـدًا، ومـانـع

وقال آخر في المعنى الأول:

إن كـان يعجبك السكوت فإنه قد كـان يعجب قبلك الأخـيـارا
ولـئـن نـدمـت عـلـى سـكوتٍ مـرةً فلقد نـدمـت على الكلام مـرارا

كأنه منظم من قول بعض الأوائل: الندم على السكوت خير من الندم على القول.

obeikandl.com

و قال أكثم: رب قولٍ أشد من صول.

وقال أيضًا: وأحسن الصمت يكسب المحبة.

ويروى أن لقمان قال: الصمت حكم وقليل فاعله.

وقال الحسن بن علي عليه السلام، وقد ليم على كثرة الصمت: إني وجدت لساني سبعًا إن أرسلته أكلني.

وقيل لعبد العزيز بن مروان: أنت من أطول الناس لسانًا، فإذا رقيت المنبر تكلمت بكلام نزر.

فقال: إني لأستحيي من ربي عز وجل أن آمرهم بما لا أفعل.

فلا جرم أن هذا القول من عبدالعزيز صيره إلى أن يقول فيه المادح، وهو نصيب مولاهم:

يقول فيحسن القول ابن ليلى ... ويفعل فوق أحسن ما يقول

فتى لا يرزأ الخلان إلاَّ ... مودتهم، ويرزؤه الخليل

وقال بعض الحكماء: من أطلق أمله فلا قنوع له، و من أطلق لسانه أهدر دمه.

وقال آخر منهم: من ضاق قلبه اتسع لسانه.

وسب رجل عابدًا، فقال العابد: لولا أن الله يسمعك لأجبتك. وهذا قول حسن.

وجاء في الصناعتين[1]: والقول في حسن الخروج والفصل والوصل وما يجري مجرى ذلك.

---

(١) كتاب الصناعتين ١/ ١٣٠.

الفصل الأول في ذكر المبادئ:

قال بعض الكتّاب: أحسنوا معاشر الكتّاب الابتداءات، فإنهن دلائل البيان.

وقالوا: ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله، مما يتطيّر منه، ويستجفى من الكلام، والمخاطبة، والبكاء، ووصف إقفار الديار، وتشتيت الألّاف، ونعى الشباب، وذمّ الزمان، لا سيّما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني. ويستعمل ذلك في المراثي، ووصف الخطوب الحادثة، فإن الكلام إذا كان مؤسسًا على هذا المثال تطيّر منه سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح، مثل ابتداء ذي الرّمة:

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كلىً مفريّةٍ سربُ

وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس ابتداءه:

أربع البلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أخنك ودادِي

قال فلما انتهى إلى قوله:

سلامٌ على الدّنيا إذا ما فقدتُم بني برمكٍ من رائحين وغاد

وسمعه استحكم تطيّره، وقيل: إنه لم يمضِ أسبوع حتى نكبوا.

ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد، قال: حدثنا الصولي، قال: حدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عن أخيه أبي محمد، قال: لما فرغ من بناء قصره بالميدان الذي كان للعباسية، جلس فيه وجمع الناس من أهله وأصحابه، وأمر أن يلبس الناسُ كلّهم الديباج، وجعل سريره في الإيوان المنقوش بالفسافسا الذي كان في صدره صورة العنقاء، فجلس على سرير مرصّع بأنواع الجواهر، وجعل على رأسه التاج الذي فيه الدرّة اليتيمة، وفي الإيوان أسِرّة آبنوس عن

يمينــه وعن يساره، من عند السرير الذي عليه المعتصم إلى باب الإيوان، فكلما دخل رجل رتّبه هو بنفسه في الموضع الذي يراه، فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم، فاستأذنه إسحاق بن إبراهيم في النّشيد، فأذن له، فأنشده شعرًا ما سمع النــاس أحسن منه في صفته وصفة المجلس، إلّا أن أوله تشبيب بالديار القديمة، وبقية آثارها فكان أول بيت منها:

يـا دارُ غـيّرك البـلـى فمحـاكِ يا ليت شعري ما الّذي أبلاك

فتطـيّر المعتصم منها، وتغامز الناس، وعجبوا كيف ذهب على إسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك.

قــال: فأقمنا يومنا هذا، وانصرفنــا، فما عاد منا اثنان إلى ذلك المجلس، وخرج المعتصم إلى سُرّ مَنْ رأى، وخرب القصر.

وأنشد البحتري أبا سعيد قصيدة، أولها:

لك الويلُ من ليلٍ تطاول آخرُه ووشـك نـوَى حـيٍّ تـزم أبـاعـرُه

فقال أبو سعيد: بل الويل والحرب لك، فغيّره، وجعله له الويل، وهو رديء أيضًا.

وأنشد أبو مقاتل الداعي:

لا تـقـلْ بـشـرى ولـكـن بشـريان غـرّة الـداعـي ويـوم المهـرجـان

فأوجعه الداعي ضربًا.

ثم قال: هلا قلت: إن تقل بشرى فعندي بشريان.

فإن أراد أن يذكر دارًا فليذكرها كما ذكرها الخريمي:

ألا يـا دارُ دام لـك الحـبـورُ وسـاعـدك الـغـضـارةُ والـسـرورُ

وكما قال أشجع:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ نشرت عليه جمالَها الأيامُ

وقالوا: أحسن ابتداءات الجاهلية قول النابغة:

كليني لهمٍّ يا أميمةُ ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

وأحسن مرثية جاهلية ابتداء قول أوس بن حجر:

أيّتها النفس أجملِي جزعا إنَّ الذي تحذرين قد وقعا

قالوا: وأحسنُ مرثية إسلامية ابتداء قول أبي تمام:

أصمّ بك الناعي وإن كان أسمَعا وأصبحَ مغنى الجودِ بعدَك بلقعَا

وقول الآخر:

أنعى فتى الجود إلى الجودِ ما مثل منْ أنعَى بموجود

أنعى فتىً مصَّ الثرى بعده بقية الماء من العود

وقد بكى امرؤُ القيس واستبكى، ووقف واستوقف، وذكر الحبيبَ والمنزل في نصف بيت، وهو قوله:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

فهو من أجود الابتداءات.

ومن أحكم ابتداءات العرب قول السموءل:

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللؤمِ عرضُه فكلُّ رداءٍ يرتديه جميل

وإنْ هوَ لم يحملْ على النفس ضيَمها فليس إلى حسنِ الثناء سبيل

وقال بعضهم: أحكم ابتداءاتهم قول لبيد:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطل وكلُّ نعيم لا محالة زائل

وجاء في سر الفصاحة [1]: وما أحسن ما قال إبراهيم بن محمد المعروف بالإمام: يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع.

وهذا كلام مختار في تفضيل البلاغة.

وقال سهل بن هارون الكاتب: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم.

وقالوا: لما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر احتقره لما رأى من دمامته.

وقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

فقال: أبيت اللعن أن الرجال لا تكال بالقفزان، وليست تستقي فيها، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن صال صال بجنان، وأن نطق نطق بلسان.

وجاء في صبح الأعشى[2]:

فمن أحسن ما مدح به كاتب قول ابن المعتز:

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه تفتح نورًا أو تنظم جوهرا

وقول الآخر:

يؤلف اللؤلؤ المنثور منطقه وينظم الدر بالأقلام في الكتب

---

(١) سر الفصاحة ١/٢١ .

(٢) صبح الأعشى ١/٧٥- ٧٦ .

obeikandi.com

وقول الآخر:

وكاتب يرقم في طرسه ... روضًا به ترتع ألحاظه
فالدرُّ ما تنظم أقلامه ... والسحر ما تنثر ألفاظه

وقول الآخر:

إن هز أقلامه يومًا ليعملها ... أنساك كل كمي هز عامله
وإن أقر على رق أنامله ... أقر بالرق كتاب الأنام له

وقول الآخر:

لا يخطر الفكر في كتابته ... كأن أقلامه لها خاطر
القول والفعل يجريان معًا ... لا أول فيهما ولا آخر

وقول الآخر:

وشادن من بني الكتاب مقتدر ... على البلاغة أحلى الناس إنشاء
فلا يجاريه في ميدانه أحد ... يريك سحبان في الإنشاء إن شاء

وكذلك أولعوا بذم حمقى الكتاب، ولهجوا بهجوهم في كل زمن، فمن ذلك قول بعض المتقدمين يهجو كاتبًا:

حمار في الكتابة يدعيها ... كدعوى آل حرب في زياد
فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو غرقت ثيابك في المداد

وورد: (إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلام [1]).

(١) هذا من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نهج البلاغة: ص٦٧٢.

الأدب في التعليم:

قال الفضل للرقاشي[1]: إنّا والله ما نعلمكم ما تجهلون، ولكنا نذكّركم ما تعلمون.

الكلام في غير موضعه:

أول من استعمل (أمّا قبل) أبو العبر[2].

كان الربيع بن خيثم يقول[3]: لو كانت الذنوب تفوح ما جلس أحدٌ إلى أحد.

قال: وقال إبراهيم بن المهدي للمأمون: يا أمير المؤمنين، ليس للعالم بعد القدرة عليه ذنب، وليس للمعاقب بعد المِلك عذر.

قال: صدقت، فما حاجتك؟

قال: فلان.

قال: هو لك.

قال: وقال الواثق يومًا لأحمد بن أبي دؤاد، وقد تضجّر بكثرة حوائجه: قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للائذين بك والمتوصلين إليك!

فقال: يا أمير المؤمنين، نتائج شكرها متصل بك، وذخائر أجرها مكتوب لك، وما لي من ذلك إلا عشق الألسن لخلود المدح فيك.

---

(١) نثر الدر: ج ٧ ص ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ج٧ ص ٢٩٦.

(٣) المصدر نفسه: ج٧ ص ١٢٩.

فقال: يا أبا عبدالله، والله، لا منعتك ما يزيد في عشقك، وتقوى به منتك، إذ كانا لنا دونك. وأمر فأُخرج له ثلاثون ألف دينار يفرقها في الزوار.

قال: وقدم أبـو وجزة السلمي على المهلب بن أبي صفرة، فقال: أصلح الله الأمير، إني قطعت إليك الدهناء، وضربت إليك أكباد الإبل من يثرب.

فقال: هل أتيتنا بوسيلة أو قرابة أو عشرة؟

قـال: لا، ولكني رأيتـك لحاجتي أهلاً، فإن قمت بهـا فأهل ذلك أنت، وإن يحل دونها حائل لم أذمم يومك، ولم أيأس من غدك.

فقال المهلب: يعطى ما في بيت المال.

فوجد فيه مائة ألف درهم فدفعت إليه، فأنشأ يقول:

يا من على الجود صاغ الله راحته فليس يحسن غير البذل والجود
عمّت عطاياك من بالشرق قاطبةً وأنت والجود منحوتان من عُود

قال: ودخل الكوثـر بن زفر على يزيد بن المهلب، فقال: أصلحك الله، أنت أعظم قدرًا من أن يستعان عليك، ويستعان بك، لست تفعل من المعروف شيئًا إلا وهو أصغر منك، وليس من العجب أن تفعل، ولكن العجب ألا تفعل.

قال: سل حاجتك.

قال: تحملت عن قومي عشر ديات، وقد نهكتني.

قال: قد أمرنا لك بها، وأضعفناها بمثلها.

فقـال الكوثر: إن ما سألتك هو بوجهي لمقبول منك، وأما ما بدأتني به فلا حاجة لي فيه. قال: ولم، وقد كفيتك ذل السؤال؟

قال: لأني رأيت الذي أخذته مني بمسألتي إياك أكثر مما نالني من معروفك، فكرهت الفضل على نفسي.

قال يزيد: فأنا أسألك بحقك عليّ فيما أملتني له من إنزالك إليّ إلا قبلتها. فقبلها.

قال: وكتب عبدالله بن طاهر إلى المأمون من خراسان: بعدت داري عن أمير المؤمنين وعن ظل جناحه وعن خدمته، وإن كنت حيث تصرفت لا أتفيأ إلا به، وقد اشتد شوقي إلى النظر إلى رؤيته المباركة، والتزين بحضور مجلسه، وتلقيح عقلي بحسن رأيه، فلا شيء عندي آثر من قربه، وإن كنت في سعة من عيش وهبه الله جل ذكره لي به، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في المسير إلى دار السلام، لأحدث عهدًا بالنعم عليّ، وأتهنأ بالنعمة التي أقرها لدي فعل.

فأجابه المأمون: قربك إلي يا أبا العباس حبيب، وأنا إليك مشتاق، وإنما بعدت دارك عن أمير المؤمنين بالنظر لك، والتخير لحسن العاقبة، فالزم مكانك، واتبع قول الشاعر:

رأيت دنو الدار ليس بنافعي إذا كان ما بين القلوب بعيدا

وحدثنا خصيف بن الحارث عن أبي رجاء قال:

قدم مع المأمون رجل من دهاقين الشاش وعظمائهم على عدة سلفت من المأمون له من توليته بلدًا، وأن يضم إليه مملكته، فطال على الرجل انتظار خروج المأمون، وأمره له بذلك، فقصد عمرو بن مسعدة، وسأله إنفاذ رقعة إلى المأمون من ناحيته.

فقال عمرو: اكتب ما شئت، فإني أوصله.

قال: فتولَّ ذلك عني يكن لك عليّ نعمتان.

فكتب عمرو: إن رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته أو يأذن له في الانصراف إلى بلده فعل إن شاء الله تعالى.

فلما قرأ المأمون الرقعة، دعا عمرًا فجعل يعجبه من حسن لفظها وإيجاز المراد فيها.

قال عمرو: فما نتيجتها يا أمير المؤمنين؟

قال: الكتاب له في هذا في الوقت بما سأل؛ لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه، وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماجة الإغفال. ففعل عمرو ذلك.

وحدثنا إسماعيل بن أبي شاكر قال: لما أصاب أهل مكة سنة ثمانٍ ومائتين السيل الذي شارف الحجر، ومات تحت هدمه خلق كثير، كتب عبدالله بن الحسن العلوي، وهو والي الحرمين إلى المأمون:

يا أمير المؤمنين، إن أهل حرم الله، وجيران بيته، وألّاف مسجده، وعمرة بلاده قد استجاروا بفيء معروفك من سيل تراكمت أحداثه في هدم البنيان، وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأموال، وجرف الأمتعة والأثقال، حتى ما ترك طارفًا ولا تالدًا يرجع إليهما في مطعم وملبس، قد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة إلى البكاء على: الأمهات، والأولاد والآباء، والأجداد، فأَجِرّهم يا أمير المؤمنين، بعطفك عليهم، وإحسانك إليهم، تجد الله مكافئك عنهم، ومثيبك عز الشكر لك منهم.

قال: فوجه إليهم المأمون بالأموال الكثيرة.

وكتب إلى عبد الله: أما بعد، فقد وصلت شكيتك لأهل حرم مكة إلى أمير المؤمنين،فتلافاهم الله بفضل رحمته، وأنجدهم بسيب نعمته، وهو متبع ما أسلفه إليهم بما يخلفه عليهم عاجلاً وآجلاً إن أذن الله جل وعز في تثبيت عزمه على صحة نيته فيهم.

قال: فكان كتابه هذا أسرّ إلى أهل مكة من الأموال التي أنفذها إليهم.

قال أحمد بن يوسف: دخلت على المأمون يومًا ومعه كتاب يعجب به، كتبه إليه عمرو بن مسعدة، فالتفت إليّ وقال: أحسبك مفكرًا فيما رأيت؟

قلت: نعم، وقى الله أمير المؤمنين المكروه.

قال: إنه ليس بمكروه، ولكني قرأت كلامًا نظير الخبر خبرني به الرشيد، سمعته يقول: البلاغة التقرب من معنى البغية، والتباعد من حشو الكلام، ودلالة بالقليل على الكثير، فلم أتوهم أن هذا الكلام يسبك على هذه الصيغة حتى قرأت هذا الكتاب، والله لأقضين حق هذا الكلام، وكان الكتاب استعطافًا على الجند، فيه كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من أجناده وقواده في الطاعة والموالاة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند، وقد تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم. قال: فأمر بإعطائهم لثمانية أشهر.

قال: ولما بعث طاهر بن الحسين برأس محمد الأمين، كتب إليه: آتى الله أمير المؤمنين من شكره ما يزيد به في نعمته عليه وأياديه لديه، فقد كان من قدر الله جل وعز في إعانة أمير المؤمنين على الظفر بحقه وسلامة الأولياء ووفاة محمد بن الرشيد ما لا دافع له من القضاء في الخلق والاستبداد بالأمر، لنفوذ مشيئته فيما أحب من إعزاز وإجلال وموت وحياة، فليهنئ أمير المؤمنين فوائد تطوّل الله عليه، وليعزه عن أخيه الرضى بما يؤول إليه أهل الأرض والسماء من الانقراض والفناء.

فكان المأمون يقول: والله لسروري بتعزيته، أوقع بقلبي من تهنئته.

قال: وكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر: أما بعد، فإن المأمون أحله الله دار كرامته، رآك لأكثر الذي أنت له فيه أهلاً، وقد جمع الله لك إلى حسن رأيه كان فيك جميل رأيي لما محضته من حسن الطاعة، وكرم الوفاء، وشكر الإحسان، وقد اتصلت الأخبار بأنك في كفاية من أولياء أمير المؤمنين وأموال خراسان، وفي منعة من خاصتك وعامتك عن أن ينالك عدوك أو أحد ممن يخالفك بسوء، فاكتب بشرح ذلك إلى أمير المؤمنين؛ ليعرفه إن شاء الله.

فلما وصل كتابه، قال عبدالله لكاتبه إسماعيل بن حماد: ما تقول في هذا الكتاب؟

قال: كتاب تعريض بأنك خارج من طاعته، مالك أمر نفسك دونه.

قال: فأجبه عنه.

فكتب إليه: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإن حزب الله وإن قلّوا، وأنصار المؤمنين وإن ضعفوا فهم الغالبون، وما أنا بشيء في ملاقاة عدو أوثق مني بعز دولة أمير المؤمنين، فأما الأيدي فقليلة، والأموال فنزرة، وفي الله، وفي أمير المؤمنين أعظم الغنى. فقبل عذره وحسن موقع كتابه منه.

قال: وكتب أحمد بن إسرائيل إلى الواثق، وقد عزله عن ديوان الخراج، وأمر بتقييده، ليصحح حساباته: يا أمير المؤمنين، بم يستحق الإذلال من أنت بعد الله ورسوله موئل عزه، وإليك مفزع أمله، ولم تزل نفسه راجية لابتداء إحسانك إليه، وتتابع نعمك لديه، وعينه طامحة إلى تطولك عليه، ورفعك منه، والزيادة في الضيعة إليه، فهب له يا أمير المؤمنين، ما يزينك، واعفُ عما لا يشينك، فما به عنك معدل، ولا على غيرك معول.

فأمر بإطلاقه.

قـال: وكتب جعفر بن محمد بن الأشعث إلى يحيـى بن خالد يستعفيه من العمل: شكري لك على ما أريد الخروج منه شكر من نال الدخول فيه.

وكتـب عليّ بـن هشـام إلى إسحاق بن إبراهيـم الموصلي: مـا أدري كيف أصنع؟ أغيب فأشتاق، وألتقي فلا أشتفي، ثم يحدث لي اللقاء نوعًا من الحرقة للوعة الفرقة.

وكتـب معقل إلى أبي دلف: فلان جميل الحال عند كرام الرجال، وأنت إن لم ترتبطه بفضلك عليه، غلبك فضل غيرك عليه.

وكتـب رجـل إلى أخ لـه: أما بعد، فقد بان لنا من فضـل الله جل وعز ما لا نحصيـه، لكـثرة ما نعصيه، وما ندري مـا نشكر؟ أجميل ما نشـر؟ أم قبيح ما سـتر؟ أم عظيـم ما أبلـى؟ أم كثير ما عفا؟ غـير أنه يلزمنـا في الأمور شكره، ويجب علينا حمده، فاستزد الله من حسن بلائه بشكرك إياه على حسن آلائه.

وكتب رجل إلى أخ له:

أوصيـك بتقوى الله الـذي ابتدأك بإحسانـه، وأتم عليك نعمـه بأفضاله، وصـبر عليك مـع اقتداره، ولا يغررك إمهاله، فإنه ربمـا كان استدراجًا، عافانا الله وإياك من الاغترار بالإمهال، والاستدراج بالإحسان.

قـال: وكتب أبو هاشم الحراني إلى بعض الأمراء: عوضي من أمل الأمير متأخر، والصبر على الحرمان متعذر.

وكتـب رجـل إلى محمد بن عبـد الله: إن من النعمة على المثنـي عليك أن يخاف الإفراط، ولا يأمن التقصير، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب، ولاينتهي مـن المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عونًا على تجاوزها، ومن سعادة جدك أن الداعي لك لا يعدم كثرة المادحين، ومساعدة من النية على ظاهر القول.

وكتب رجل إلى أبي عبد الله بن يحيى: رأيتني فيما أتعاطاه من مدحك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر المضيء الزاهر الذي لا يخفى على ناظر، وأيقنت أني حيث أنتهي من القول منسوب إلى العجز، مقصر عن الغاية، فانصرفت عن إثناء عليك، إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك، إلى علم الناس بك.

قال: وكتب المهلب بن أبي صفرة إلى عبد الملك بن مروان لما هزم الشراة: أما بعد، فإنا لقينا المارقة ببلاد الأهواز، وكانت للناس جولة، ثم ثاب أهل الدين والمروءة ونصرنا الله جل وعز عليهم، ونزل القضاء بأمر جاوزت النعمة فيه الأمل، فصاروا ردية رماحنا، وضرائب سيوفنا، وقتل رئيسهم في جماعة من حماتهم وذوي النيات منهم، وجلا الباقون عن عسكرهم، وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها تمامًا وكمالاً، والسلام.

وكتب المهلب إلى الحجاج في فتح الأزارقة: الحمد لله الكافي بالإسلام ما وراءه، الذي لا تنقطع مواد نعمته حتى ينقطع من خلقه مواد الشكر، وإنا كنا أُعطينا من الله جل وعز على عدونا حالين يسرنا منهم أكثر مما يسوؤنا، ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم، فلم يزل الله جل وعز يزيدنا وينقصهم، ويعزنا ويخذلهم، حتى بلغ الكتاب أجله، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

أخبرنا ابن أبي السرح أن الحجاج أغزى جيشًا، فظفروا، وأن صاحب جيشه كتب إليه: الحمد لله الذي جعل لأوليائه أمام نصره موعدًا قوّى به قلوبهم، وقدم إلى أعدائه بين يدي خذلانه إياهم وعيدًا أرعب به مفاصلهم، وزعزع معه قلوبهم.

فلما بلغ هذا الموضع، طوى ما كان نشره من الكتاب، ولم يقرأ ما بعده، ثم التفت إلى الرسول، فقال: غيّرنا هذا الكلام المبتدأ به، إن العدو ولّى من غير حرب!

فقال: صدق الأمير، صدّق الله ظنه، وأصاب، أصاب الله رأيه.

قال: وكتب مروان بن محمد إلى عبد الله بن علي يوصيه بحرمة، فكتب إليه عبد الله: يا مائق، إن الحق لنا في دمك، والحق علينا في حرمك.

وكتب علي رضوان الله عليه، إلى زياد ابن أبيه: لئن بلغتني عنك خيانة لأشدنّ عليك شدة أدعك فيها قليل الوفر ثقيل الظهر.

قال: وكتب رجل إلى أبي مسلم حين خرج: أحسن الله لك الصحبة، وعصمك بالتقوى وألهمك التوفيق، إن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء والعاقبة للمتقين، فسر فيها راغبًا إلى الله ورسوله، والرضا من هذه الأمة بالكتاب والسنة.

واعلم أن التقوى أسّ ما تبني عليه أمرك، فإن ضعف الأساس تداعى البنيان، ودخل الأعداء من كل مكان، فتألف الأعلام من الرجال وسرواتهم، وتصفّح عقولهم ومروءاتهم، فكلما ارتضيت رجلاً ففره عن عزائم رأيه، واصرف نظرك إلى تصرّف حاله، وإن وجدته على خلاف ما أنت عليه فلا تعجل بإلقاء أمرك إليه فتدخل الوحشة منك والنفور عنك، لكن اقرعه بالحجة في رفق، وسقه إلى شرك المحجة في لين؛ حتى يتكشف لك ثوب الظلمة عن النور، وتظهر لك وجوه الأمور، فإنه سيكثر أعوانك على الحق، ويسهل لك منهاج الطرق. فإذا كثرت العدة من أصحابك، وأمكنتك الشدة على أعدائك، فحارب الفئة الباغية، والأئمة الطاغية، الذين أباحوا حمى المسلمين، وأجروا عليهم أحكام الفاسقين، وقادوهم بجرائر المهن، واستذلوهم في البر والبحر.

واعلم أن من عرف الله جل وعز لم يرَ لأهل البغي جماعة، ولا لأئمة الضلالة طاعة. وكلما غلبت على بلدة فأمسك عن القتل، وأظهر في أهله العدل؛

لتسكـن إليك النفوس، ويثوب نحوك الناس، وينتشر فعلك في الخاصة والعامة، فتستدعـي أهواءهـا، وتستميل آراءها، وتهشـ إليك من الآفـاق نفوس عرانين الكـرم، ومصابيح الظلَم، مـن ذوي الأحساب الكريمة، والبيـوت القديمة التي شرفها الإسلام، وزينها الإيمان، لتزرع بذلك لك المحبة في قلوب العباد، ويكونوا لك دواعي في نواحي البلاد. تمم الله لك أمرك، وأعلى كعبك.

قال: ولمـا استقامت المملكة لأبرويز، وانقضى مـا بينه وبين بهرام جوبين، أمـر أن تكتب تلك الحروب والوقائـع إلى منتهاها ففعلت الكتبة ذلك، وعرضته على أبرويز، فلم يرض صدره.

فقال غلام من أولاد الكتّاب: إن أمر الملك كتبت صدره.

فقال: شأنك.

فتناول القلم وكتب: إن الدهر لم يخلُ في تارات عقبه وتصرفه ووجوه تنقله في حـالات مـن العجائب، ولم تتصرم فيـه فنونها على طول مـداه، ولم يزل في تقلب عصريه، وصفحـات أزمنته، وطبقات أحايينه، تحدث فيه جلائل الأمور، وغرائـب الأنباء، وتنجم فيه قرون وتعقب فيه أعقـاب بعد أسلاف، وتعفو آثار، ولـه في تلونه تصريف أنباء معجبة، وأحاديث فيهـا معتبر وعظة ومختبر، ومن أعاجيـب ذلك أمر بهرام بن بهرام ولقبه جوبين. فعرضه على أبرويز، فأعجبه ذلك، وأمر برفع درجته، وتقديمه وتعظيمه.

مساوئ المكاتبات[1]:

قال الجاحظ: كتب ابن المراكبي إلى بعض ملوك بغداد: جعلت فداك برحمته.

وقرأت على عنوان كتاب لأبي الحسين السمّري: للموت أنا قبله.

---

(١) البيان والتبيين ١/ ١٩٥.

وقرأت أيضًا على عنوان كتاب: إلى ذاك الذي كتب إليّ.

وكتب بعضهم إلى ابن له عليل: يا بني، اكتب إليّ بما تشتهي.

فكتب إليه: أشتهي قلنسوة.

فكتب إليه: إنما سألتك أن تخبرني بما تشتهي من الغداء.

فكتب إليه: أشتهي دهن خل وزيت.

فكتب إليه: أنزل الله عليك الموت، فإنك ثقيل.

قال: ونقش بشر بن عبد الله على خاتمه: بشر بن عبد الله بالرحمن لا يشرك.

فقال أبوه: هذا والله، أقبح من الشرك!

محاسن الخطب[1]:

قال: خطب خالد بن صفوان خطبة نكاح، فقال: الحمد لله جامعًا للحمد كله، وصلى الله على محمد وآله، أما بعد فقد قلتم ما سمعنا، وبذلتم فقبلنا، وخطبتم فأنكحنا، فبارك الله لنا ولكم.

وقولهم في بعض الأمثال:

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقّري ما شئت أن تنقري

قد رفع الفخ فماذا تحذري

قيل: كان طرفة بن العبد البكري مع عمه، وهو صغير في بعض أسفارهما، فنزلا على ماء فنصب طرفة فخه للقنابر، وقعد لها، وهنّ يحذرن الفخّ، وينفرن مما حوله، فقال:

قاتلكن الله من قنابر منتبذاتٍ في الفلا نوافر

(١) البيان والتبيين ١/١٩٥ .

وأخـذ فخه ورجع إلى عمه. فلما تحملوا أقبلت القنابر تلتقط ما كان ألقاه لهن من الحب، فالتفت فرآهن فقال:

يـا لـك مـن قـبرة بمعـمر خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

وقولهم: لو ترك القطا لنام، كانت حذام بنت الريان ملك معدّ، وإن رجلاً مـن حمير سار إلى أبيهـا في حمير، فلقيهم الريان في أحيـاء ربيعة، فالتقوا في أرض تدعى المرامـة، فاقتتلوا يومـين وليلتين، ثم رجع الحمـيري إلى عسكره، وهـرب الريان وسار يومه وليلته، فلما أصبح الحميري، ورأى عسكر الريان سار في طلبـه، وجعلوا يمرون ويثـيرون القطا، وجعلت القطا تمر على عسكر الريان، فانتبهت ابنته، فقالت لقومها:

ألا يا قومنا، ارتحلوا وسيروا فلو تـرك القطا ليلاً لناما

فارتحلوا واعتصموا برؤوس الجبال، ورجع القوم، ففي ذلك يقول حميد:

إذا قـالـت حـذام فصـدقوهـا فـإن الـقـول مـا قـالـت حـذام

محاسن الجواب[1]:

قيل: دخل رجل على كسرى أبرويز فشكا عاملاً له غصبه على ضيعة له.

قال كسرى: منذ كم هي في يدك؟ قال: منذ أربعين سنة.

فقال: أنت تأكلها منذ أربعين سنة، ما عليك أن يأكل منها عاملي سنة !

فقال: ما كان على الملك أن يأكل بهرام جوبين الملك سنة واحدة !

فقال: ادفعوا في قفاه وأخرجوه.

---

(١) البيان والتبيين ١٩٨/١ .

فأُخرج، فأمكنته التفاتة، فقال: دخلت بمظلمة، وخرجت بثنتين.

فقال كسرى: ردوه، وأمر برد ضيعته، وجعله في خاصته.

محاسن السؤال[1]:

قال الجاحظ: سمعت شيخًا من المكدين، وقد التقى مع شاب منهم قريب العهد بالصناعة، فسأله الشيخ عن حاله؟ فقال: لعن الله الكدية، ولعن أصحابها من صناعة ما أخسها وأقلها! إنها ما علمت تخلق الوجه، وتضع من الرجال، وهل رأيت مكديًا أفلح؟

قال: فرأيت الشيخ قد غضب والتفت إليه.

فقال: يا هذا، أقلل الكلام فقد أكثرت، مثلك لا يفلح؛ لأنك محروم، ولم تستحكم بعد، وإن للكدية رجالاً، فما لك ولهذا الكلام!

ثم التفت، فقال: اسمعوا بالله، يجيئنا كل نبطيّ قرنانٍ، وكل حائك صفعان، وكل ضرّاط كشحان، يتكلم سبعًا في ثمانٍ، إذا لم يصب أحدهم يومًا شيئًا، ثلب الصناعة، ووقع فيها، أو ما علمت أن الكدية صناعة شريفة، وهي محببة لذيذة، صاحبها في نعيم لا ينفد، فهو على بريد الدنيا ومساحة الأرض، وخليفة ذي القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب، حيث ما حلّ لا يخاف البؤس، يسير حيث شاء، يأخذ أطايب كل بلدة؟ فهو أيام النرسيان والهيرون بالكوفة، ووقت الشبّوط وقصب السكر بالبصرة، ووقت البرنيّ والأزاذ والرّازقيّ والرمان المرمر ببغداد، وأيام التين والجوز الرطب بحلوان، ووقت اللوز الرطب والسختيان والطبرزد بالجبل، يأكل طيبات الأرض، فهو رخي البال، حسن الحال لا يغتمّ لأهل، ولا

(١) المحاسن والمساوئ ٢٤٦/١.

مـال، ولا دار، ولا عقـار، حيث ما حلّ فعلفـه طبليّ، أما والله، لقـد رأيتني وقد دخلت بعض بلدان الجبل، ووقفت في مسجدها الأعظم، وعليّ فوطة قد ائتزرت بهـا وتعممت بحبـل من ليف، وبيدي عكازة من خشـب الدفلى، وقد اجتمع إلي عالم من الناس، كأني الحجاج بن يوسف على منبره، وأنا أقول:

يا قوم، رجل من أهل الشام، ثم من بلد يقال له المصيصة من أبناء الغزاة والمرابطين في سبيل الله، من أبناء الركّاضة وحرسة الإسلام، غزوت مع والدي أربـع عشرة غزوة، سبعًا في البحر، وسبعًا في الـبر، وغزوت مع الأرمنيّ، قولوا: رحم الله أبا الحسن، ومع عمر بن عبيد الله، قولوا: رحم الله أبا حفص، وغزوت مع البطال بن الحسين، والرنرداق بن مدرك، وحمدان بن أبي قطيفة، وآخر من غـزوت معه يا زمان الخادم، ودخلـت قسطنطينية، وصليـت في مسجد مسلمة ابـن عبد الملك، من سمـع باسمي فقد سمع ومن لم يسمع فأنا أعرفه نفسي، أنا ابـن الغزيّل بن الركان المصيصي المعروف المشهـور في جميع الثغور، والضارب بالسيـف، والطاعـن بالرمح، سـدٌّ من أسـداد الإسلام، نازل الملـك على باب طرسوس، فقتل الذراري وسبى النساء، وأُخذ لنا ابنان وحملا إلى بلاد الروم فخرجـت هاربًـا على وجهي، ومعي كتب من التجار، فقطـع عليّ، وقد استجرت بالله ثم بكم، فإن رأيتم أن تردّوا ركنًا من أركان الإسلام إلى وطنه وبلده!

فـوالله، مـا أتممت الـكلام، حتـى انهالت علـيّ الدراهم مـن كل جانب، وانصرفت ومعي أكثر من مائة درهم.

فوثـب إليه الشاب وقبل رأسه، وقال: أنـت والله، معلم الخير فجزاك الله عن إخوانك خيرًا.

ومما يضارع هذه اللطائف أنه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية ﷺ كلام، فانصرفا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى منزله، أخذ رقعة، وكتب فيها[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي بن أبي طالب إلى أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب، أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك، وسر إليَّ فترضيني، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام.

فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة، لبس رداءه ونعليه، ثم جاء إلى أخيه محمد فترضاه.

ومثل ذلك قول أبو نواس يهجو خالصة جارية الرشيد:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع درٌّ على خالصه

فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده، فقال: لم أقل إلا ضاء، واستحسن مواربته.

وقال بعض من حضر: هذا البيت قلعت عينه فأبصر.

في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل بن زياد في العلم وأهله [2].

قال كميل بن زياد النخعي: خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الجبانة، فلما أصحرنا تنفس الصعداء، ثم قال: يا كميل بن زياد، إن القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير. احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة: فعالم

(١) هذه الأقوال وما بعدها وردت في ثمرات الأوراق ١/٩٨ - ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة: ص ٦٩١ و سراج الملوك ١/٥٢.

ربـاني، ومتعلم علـى سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا منه إلى ركن وثيق.

العلـم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم يزكو على الإنفاق، والمـال تنقصه النفقة. والعلم حاكم، والمال محكوم عليه. ومحبة العلم ديـن يـدان الله تعالى به يكسبه الطاعة في حياته، وجميـل الأحدوثة بعد وفاته. مـات خزنة الأمـوال وهم أحيـاء، والعلماء باقون مـا بقي الدهـر، أشخاصهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

إن ههنا، وأشار بيده إلى صدره، لعلمًا جمًّا لو أصبت له حملة بل قد أصبت له لقنًا غير مأمون عليه، يستعمل الدين للدنيا، فيستظهر بحجج الله على كتابه، أو كمـا قـال، وبنعمه على عباده، أو منقادًا لأهل الحـق لا بصيرة له في أخبائه، ينقـدح الشـك في قلبـه بأول عارض مـن شبهـة، ألا لا ذا ولا ذاك! أو مهمومًا باللـذات سريـع الانقياد للشهوات، أو مغرى شأنه جمـع المال والادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شبهًا بهما الأنعام السائمة. اللهم، فكذلك يموت العلم بموت حامليه، ولكن لن تخلو الأرض من قائم لله تعالى بحججه؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناتـه، ومن أولئك، وأين أولئك، أولئك الأقلون عددًا الأكثرون عند الله قدرًا، تجـول الحكمة في قلوبهم حتى يزرعها في قلـوب أشباههم، ويودعوها في صدور نظرائهم. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فباشروا روح اليقين، فاستلانوا ما استوحشه المترفـون واستأنسوا بما استوحش الجاهلون. صحبوا الدنيا بأجساد أرواحهـا متعلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفـاء الله في بلاده وأمناؤه على عباده، ودعاته إلى دينه. آه شوقًا إلى رؤيتهم!

باب في الأجوبة المسكتة والمستحسنة

ورشقات اللسان، وما جرى مجرى ذلك [1]:

ومن الأجوبة المسكتة المستحسنة[2]:

ما ذكر أن إبراهيم مغني الرشيد غنى يومًا بين يديه، فقال له:

أحسنت أحسن الله إليك.

فقال له: يا أمير المؤمنين، إنما يحسن الله إلي بك، فأمر له بمائة ألف درهم.

وذبحت عائشة رضي الله تعالى عنها شاة، وتصدقت بها، وأفضلت منها كتفًا، فقال لها النبي ﷺ: «**ما عندك منها**»؟

فقالت: ما بقي منها إلا كتف.

فقال: «**كلها إلا كتفًا**».

وقال عبد الله بن يحيى لأبي العيناء: كيف الحال؟

قال: أنت الحال، فانظر كيف أنت لنا، فأمر له بمال جزيل وأحسن صلته.

وكان عمرو بن سعد بن سالم في حرس المأمون ليلة، فخرج المأمون يتفقد الحرس، فقال لعمرو: من أنت؟

قال: عمرو - عمرك الله - بن سعد - أسعدك الله - بن سالم، سلمك الله.

قال: أنت تكلؤنا الليلة؟

---

(١) هذه الأقوال وما بعدها جاءت في المستطرف ١/٥٩.

(٢) المستطرف ١/٦١.

obeikandl.com

قال: الله يكلؤك يا أمير المؤمنين، وهو خير حافظ وهو أرحم الراحمين.

فقال المأمون:

إن أخا الهيجاء من يسعى معك ... ومن يضرّ نفسه لينفعك

ومن إذا رأى الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا إليه أربعة آلاف دينار.

قال عمرو: وددت لو أن الأبيات طالت.

وقال المعتصم للفتح بن خاقان، وهو صبي صغير: أرأيت يا فتح، أحسن من هذا الفص لفص كان في يده؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، اليد التي هو فيها أحسن منه.

فأعجبه جوابه، وأمر له بصِلَة وكسوة.

باب في ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرقاتهم وكبوات الجياد وهفوات الأمجاد [1]:

قيل: خطب المأمون، فقال:

اتقوا الله عباد الله، وأنتم في مهل، بادروا الأجل، ولا يغرنكم الأمل، فكأني بالموت قد نزل، فشغلت المرء شواغله، وتولت عنه فواصله، وهيئت أكفانه، وبكاه جيرانه، وصار إلى التراب الخالي بجسده البالي، فهو في التراب عفير، وإلى ما قدم فقير.

(١) هذه الأقوال، وما بعدها وردت في التذكرة الحمدونية ٢/٣٣٩- ٣٧٠.

وقال الشعبي: ما سمعت أحدًا يخطب إلا تمنيت أن يسكت؛ مخافة أن يخطئ ما خلا زيادًا، فإنه لا يزداد إكثارًا إلا ازداد إحسانًا.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بالمرء إثمًا أن يقال له: اتقِّ الله فيغضب، ويقول عليك نفسك.

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامل من عماله: ألّا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل، فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه، فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة عشر سوطًا.

وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة.

قال: ترك الغضب.

وقال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب، ويشتد غضبه، فكتب ثلاث صحائف، فأعطى كل صحيفة رجلاً.

وقال للأول: إذا اشتد غضبي، فقم إلي بهذه الصحيفة وناولنيها.

وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فناولنيها.

وقال للثالث: إذا ذهب غضبي، فناولنيها.

وكان في الأولى: «اقصر، فما أنت وهذا الغضب، إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضًا».

وفي الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

وفي الثالثة: «احمل عباد الله على كتاب الله، فإنه لا يصلحهم إلا ذاك.

وكان الشعبي أولع شيء بهذا البيت:

ليست الأحلام في حال الرضا إنما الأحلام في حال الغضب

وعن معاذ بن جبل، عن أنس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: «**من كظم غيظه، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره في أي الحور شاء**»، وروي: «**ملأه الله أمنًا وإيمانًا**».

وقال ابن السماك: أذنب غلام لامرأة من قريش، فأخذت السوط، ومضت خلفه، حتى إذا قاربته رمت بالسوط، وقالت: ما تركت التقوى أحدًا يشفي غيظه.

وقال أبو ذر لغلامه: لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟

قال: أردت أن أغيظك.

قال: لأجمعن مع الغيظ أجرًا، أنت حر لوجه الله تعالى.

ورفع إلى عبد الملك بن مروان أعرابي يقال له حمزة، سرق، وقامت عليه البينة، فهمَّ عبد الملك بقطع يده، فكتب إليه حمزة من السجن، يقول شعرًا:

يدي يا أمير المؤمنين، أعيدها بعفوك أن تلقى مقامًا يشينها

فلا خير في الدنيا وكانت خبيثة إذا ما شمال فارقتها يمينها

قال: فأبى عبد الملك إلا قطعه، فدخلت عليه أم حمزة، وقالت: يا أمير المؤمنين، بني وكاسبي، وواحدي.

فقال لها عبد الملك: بئس الكاسب لك، هذا حد من حدود الله تعالى.

فقالت: يا أمير المؤمنين، اجعله أحد ذنوبك التي تستغفر الله منها.

فقال عبد الملك: ادفعوه إليها، وخلى سبيله.

شـــعر:

إذا مـا طـاش حلمك عـن عدو ... وهـان عليك هـجـران الصديق
فلسـت إذًا أخـا عفـو وصفـح ... ولا لأخ عـلـى عـهـد وثـيـق
إذا زلَّ الـرفـيـق وأنـــت ممن ... بـــلا رفـــق بـقـيـت بـــلا رفـيـق
إذا أنـت اتـخـذت أخًـا جـديـدًا ... لـمـا أنـكـرت مـن خـلـق عتيق
فـمـا تـــدري لـعـلـك مستجير ... مـن الـرمضـاء فـرّ إلى الحريق
فكم مـن سـالـك لـطـريـق أمـن ... أتـــاه محـــاذر مـن في الـطـريـق

وشتم رجل رجلاً، فقال له: يا هذا، لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعًا، فإني أبيت مشاتمة الرجال صغيرًا، فلن أجيئها كبيرًا، وإني لا أكافئ من عصى الله فيَّ بأكثر من أن أطيع الله فيه.

وقيـل: لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة، وكان قد أمر بضرب عنقه، قال: يا أمير المؤمنين، اسمع مني كلمات أقولها.

قال: قل، فأنشأ يقول:

زعموا بـأن الصقر صادف مرة ... عـصـفـور بـر سـاقـه الـتـقـديـر
فتكلم العصفور تحت جناحه ... والصـقـر منـقـض عليه يطير

ويقولون في الدعاء له: نَعِم عوفك، أي نعم بالك.

ويقولون في الدعاء عليه: لا نَعِم عوفك.

لا قبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، فالعدل الفرض والصرف التطوع.

ويقولـون: رماه الله بالطلاطلة والحمى المماطلة، الطلاطلة سقوط اللهاة، ويقال: الذبحة.

ويقولون في الشماتة: لليدين وللفم، والمثل لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وللمنخرين، أي أكبه الله على منخريه، والمثل لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قاله لرجل أتي به سكران في شهر رمضان.

ويقال: بجنبيه الوجبة، يعني الصرعة.

ومن كلا جانبيك لا لبيك.

به لا بظبي.

لا لعًا لفلان.

وقولهم: بفيه الحجر.

وبفيه الأثلب والكثكث.

وقد ورد في صيد الخاطر [1]: قد كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إني لأحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي.

وفي الناس من يقول: هذا تصنع.

وليس بشيء، فإن الله تعالى «زيَّنَّا لَّا خَلَقَنَا». لأن للعين حظًّا في النظر.

ومن تأمل أهداب العين والحاجبين، وحسن ترتيب الخلقة علم أن الله زين الآدمي.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنظف الناس، وأطيب الناس.

وكان لا يفارقه السواك، وكان يكره أن يشم منه ريح ليست طيبة.

---

(١) هذه الأقوال وما بعدها جاءت في صيد الخاطر ١/٢٨- ٣٢.

obeikandl.com

وقد قالت الحكماء: من نظف ثوبه قلَّ همّه، ومن طاب ريحه زاد عقله.

وقال ﷺ لأصحابه: «**ما لكم تدخلون علي قلحًا، استاكوا** [1]».

وقد فضلت الصلاة بالسواك، على الصلاة بغير سواك، فالمتنظف ينعم نفسه، ويرفع منها قدرها.

وقد كان النبي ﷺ يحب الطيب.

ثم إنه يؤنس الزوجة بتلك الحال. فإن النساء شقائق الرجال، فكما أنه يكره الشيء منها فكذلك هي تكرهه، وربما صبر هو على ما يكره، وهي لا تصبر.

هِمَمٌ مُحلِّقةٌ على هامِ السُّها ... طلبًا لمركزِ عُنْصُرٍ ونِجارِ

ولكلِّ شيءٍ عُنْصُرٌ يأوي إلى ... غاياتِ مركزِهِ بغيرِ نِفارِ

وقال الشعبي: أربعة كانوا كتابًا صاروا خلفاء: عثمان، وعلي، ومعاوية، وعبد الملك بن مروان.

حسن التوفيق في مخاطبة الملوك:

قال هارون الرشيد لمعن بن زائدة: كيف زمانك يا معن؟

قال: يا أمير المؤمنين، أنت الزمان، فإن صلحت صلح الزمان، وإن فسدت فسد الزمان.

وهذا نظير قول سعيد بن سلم، وقد قال له أمير المؤمنين الرشيد: من أي بيت قيس في الجاهلية؟

قال: يا أمير المؤمنين، بنو فزارة.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني رقم ١٢٨٧.

قال: فمن بيتهم في الإسلام؟

قال: يا أمير المؤمنين، الشريف من شرفتموه.

قال: صدقت أنت وقومك.

ودخل معن بن زائدة على أبي جعفر، فقال له: كبرت يا معن.

قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين.

قال: وإنك لجلد.

قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين.

قال: وإن فيك لبقية.

قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

قال: أي الدولتين أحب إليك أو أبغض، أدولتنا أم دولة بني أمية؟

قال: ذلك إليك يا أمير المؤمنين، وإن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلي، وإن زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب إلي.

قال: صدقت.

قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح: أهذا منزلك؟

قال: هو لأمير المؤمنين ولي به.

قال: كيف ماؤه؟

قال: أطيب ماء.

قال: فكيف هواؤه؟

obeikandl.com

قال: أصح هواء.

وقال أبو جعفر المنصور لجرير بن يزيد: إني أردتك لأمر.

قال: يا أمير المؤمنين، قد أعد الله لك مني قلبًا معقودًا بطاعتك، ورأيًا موصولاً بنصيحتك، وسيفًا مشهورًا على عدوك، فإذا شئت فقل.

وقال المأمون لطاهر بن الحسين: صف لي ابنك عبد الله.

قال: يا أمير المؤمنين، إن مدحته عبته، وإن ذممته اغتبته، ولكنه قدح في كف مثقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين.

وأمر بعض الخلفاء رجلاً بأمر ؛ فقال: أنا أطوع من الرداء، وأذل لك من الحذاء.

وهذا قاله الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات.

وقال آخر: أطوع لك من يدك، وأذل لك من نعالك.

وقال المنصور لمسلم بن قتيبة: ما ترى في قتل أبي مسلم؟

قال ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنبياء). قال: حسبك أبا أمية.

وقال المأمون ليزيد بن مزيد: ما أكثر الخلفاء في ربيعة؟

قال: بلى، ولكن منابرهم الجذوع.

وقال المنصور لإسحاق بن مسلم: أفرطت في وفائك لبني أمية.

قال: يا أمير المؤمنين، إنه من وفّى لمن لا يرجى، كان لمن يرجى أوفى.

وقال هارون لعبد الملك بن صالح: صف لي منبج.

قال: رقيقة الهواء، لينة الوطاء.

قال: فصف لي منـزلك بها.

قال: دون منازل أهلي، وفوق منازل أهلها.

قال: ولم قدرك فوق أقدارهم؟

قال: ذلك خلق أمير المؤمنين أتأسى به، وأقفو أثره، وأحذو مثاله.

وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح - وكان أسود -:

يا نصيب، هل لك فيما يثمر المحادثة؟ يريد المنادمة.

فقال: أصلح الله الأمير، اللون مرمد، والشعر مفلفل، ولم أقعد إليك بكريم عنصر، ولا بحسن منظر، وإنما هو عقلي ولساني، فإن رأيت ألا تفرق بينهما فافعل.

ولما ودع المأمون الحسن بن سهل عند مخرجه من مدينة السلام، وقال له:

يا أبا محمد، ألك حاجة تعهد إلي فيها؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، أن تحفظ علي من قلبك ما لا أستعين على حفظه إلا بك.

كتاب المجنبة في الأجوبة [1]:

قال أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه: قد مَضى قولُنا في كلام الأعراب خاصة، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الجوابات التي هي أصعب الكلام كلّه مَرْكبًا، وأعزُّه مَطْلبًا، وأغمضه مَذْهبًا، وأضيَقه مَسْلكًا؛ لأنّ صاحبَه يُعْجل مُناجاةَ الفِكْرة، واستعمال القَريحة؛ يوم في بَديهة، نَقْض ما أبْرم في رويّة؛ فهو كمن أخذت عليه

(١) هذه الأقوال وما بعدها جاءت في العقد الفريد ١/٤٢٨- ٤٦٠ (١٠٤) سنن أبي داود رقم ٤٦١٢.

الفِجَاج، وسُدَّت عليه المَخارج ؛ قد تَعرّض للأسنة، واستهدف للمَرامي ؛ لا يدْرِي ما يُقْرَع به فيتأهّب له، ولا ما يَفجؤه من خَصمه فيَقْرعه بمثله. ولا سيّما إذا كان القائلُ قد أَخذ بمجامع الكلام فقاده بزِمامه، بعد أن رَوّى فيه واحتَفل، وجَمع خواطره واجتهد، وتَرك الرأي يَغِب حتى يَخْتمر، فقد كَرِهوا الرأي الفَطير، كما كرهوا الجوابَ الدَّبَريّ ؛ فلا يزال في نَسج الكَلام واستئناسه، حتى إذا اطمأن شاردُه، وسَكن نافرُه، صكّ به خَصْمه جُملة واحدة؟

ثم إذا قيل له: أجِب ولا تُخطئ، وأَسرع ولا تُبْطئ، ترَاه يجاوب من غير أناة ولا استعداد، يُطبّق المَفاصل، ويَنْفُذ إلى المَقاتل، كما يُرْمَى الجندل بالجندل، ويُقْرَع الحديد بالحديد؟ فَيَحُل به عُراه، ويَنْقُض به مرائره، ويكون جوابُه على كلامه، كسحابة لَبّدت عَجاجة. فلا شيءَ أعضلُ من الجواب الحاضر، ولا أعزّ من الخَصْم الألدّ الذي يَقْرع صَاحبه، ويَصْرع مُنازعه. بقول كمِثْل النار في الحَطَب الجزْل.

قال أبو الحسن: أسرعُ الناسِ جوابًا عند البديهة قريش، ثم بقيّة العرب ؛ وأحسنُ الجواب كُلِّه ما كان حاضرًا مع إصابة مَعنى وإيجاز لَفْظ.

وكان يُقال: اتّقوا جوابَ عُثمانَ بنِ عفّان.

ودَخل عُتْبة بن أبي سُفْيان، فَوَسَّع له معاوية بينه وبين عَقيل، فجلس بينهما.

فقال عَقِيل: مَن هذا الذي أجلَسَ أميرُ المؤمنين بيني وبينه؟

قال: أخوك وابن عمّك عُتبة.

قال: أمَا إنّه إنْ كان أقربَ إليك منّي، إني لأَقْرَبُ لرسول الله ﷺ منك ومنه، وأنتما مع رسول الله ﷺ أرضٌ ونحن سماء.

قال عُتبة: أبا يزيد، أنت كما وَصَفْتَ، ورسولُ الله ﷺ فوق ما ذكرتَ، وأميرُ المؤمنين عالم بحقّك، ولك عندنا مما تُحبّ أكثر مما لنا عِنْدك مما نَكْره.

ثم قال: وايم الله يا مُعاوية، لئن كانت الدُّنيا مَهَّدتك مِهادَها، وأظَلَّتْك بحذافيرها، ومَدَّت عليك أطْناب سُلْطانها، ما ذاك بالذي يَزيدك مِني رغبة، ولا تخشُّعًا لرهبة.

قال مُعاوية: لقد نَعتها أبا يزيد، نَعْتًا هشَّ له قلبي، وإني لأرْجو أن يكون الله تبارك وتعالى ما رَدّاني برداء مُلْكها، وحَبَاني بِفَضيلة عَيْشها، إلا لكرامة ادّخرها لي؛ وقد كان داودُ خليفةً، وسُليمانُ مَلِكا، وإنما هو لِمثال يُحْتذى عليه، والأمور أشباه؛ وايم الله يا أبا يزيد، لقد أصبحت علينا كريمًا، وإلينا حَبيبًا، وما أصبحتُ أضمر لك إساءة.

دخل عَطاء المُضْحك على عبد الملك بن مَرْوان، فقال له: أما وجدتْ لك أمُّك اسمًا إلا عطاء؟

قال: لقد استكثرت من ذلك ما استكثرتَه يا أميرَ المؤمنين، ألا سَمتني باسم المُباركة، صلوات الله عليها، مَرْيم.

قال مُعاوية لصُحار بن العبّاس العبديَ: يا أزرق، قال: البازي أزْرق؛ قال: يا أحمر.

قال: الذّهب أحمر.

قال: ما هذه البلاغة فيكم عبدَ القَيس؟

قال: شيء يَخْتلج في صدُورنا، فَتَقْذِفه ألسنتُنا كما يقذف البحر الزَّبد.

قال: فما البلاغة عندكم؟

قال: أن نقول فلا نُخْطِئ، ونُجيب فلا نُبْطئ.

وقال عبدُ الله بن عامر بن كُريز لعبد الله بن حازم: يا بن عَجْلَى.

قال: ذاك اسمُها.

قال: يا بن السَّوداء.

قال: ذاك لونها.

قال: يابن الأمة.

قال: كل أنثى أمة، فاقصد بذَرْعك لا يَرْجع سَهمُك عليك، إن الإماء قد وَلَدتك. دخل عبيدُ الله بن زياد بن ظَبْيان على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما هذا الذي يقول الناس؟

قال: وما يقولون؟

قال: يقولون: إنك لا تُشبه أباك؟

قال: والله، لأنا أشبهُ به من الماء بالماء، والغُراب بالغراب، ولكن أدُلك على مَن لم يُشبه أباه؟

قال: مَن هو؟

قال: من لم تُنْضِجه الأرحام، ولم يُولد لتمام، ولم يُشْبِه الأخوال والأعمام؟

قال: ومَن هو؟

قال: ابنُ عمي سُويد بن مَنجوف، وإنما أرادَ عبدَ الملك بن مروان، وذلك أنه وُلد لستة أشهر.

دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك فلم يَجد موضعًا يَقْعد فيه، فَعلم أن ذلك فُعِل به على عَمْد.

فقال: يا أمير المؤمنين، اتقِّ الله!

قال: أو مثلك يا زيد، يأمر مثلي بتقوى الله.

قال زيد: إنه لا يَكْبُرُ أحدٌ فوق أن يوصى بتقوى الله، ولا يَصْغر دون أن يوصى بتقوى الله.

قال له هشام: بلغني أنك تُحدِّث نفسَك بالخِلافة ولا تَصْلُح لها؛ لأنك ابن أمة.

قال زيد: أما قولك: إني أحدث نفسي بالخلافة، فلا يَعلم الغَيْب إلا الله؛ وأمّا قولُك: إني ابن أمة، فهذا إسماعيلُ بن إبراهيم خليل الرحمن، ابنُ أمة، من صُلبه خيرُ البشر محمد ﷺ، وإسحاق ابن حُرّة، أُخرج من صلْبه القِردةُ والخَنازير وعَبدة الطاغوت. قال له: قُمْ.

قال: إذن لا تراني إلا حيث تكره.

فلما خرج من عنده قال: ما أحب أحدٌ قط الحياة إلا ذلَّ.

قال له حاجبه: لا يَسمع هذا الكلام منك أحد.

وقال زيدُ بن عليّ:

شرَّده الخَوْفُ وأزْرى به ... كذاك مَن يَكره حَرّ الجلاد
محتفي الرِّجْلين يشكو الوَجى ... تَقْرعه أطرافُ مَرْوٍ حِدَاد
قد كان في الموت له راحة ... والموت حَتْم في رِقاب العِباد

ثم خرج بخراسان فقُتل وصلب في كُناسة.

وفيه يقوله سُدَيف بن مَيْمون في دولة بني العباس:

واذْكروا مَقْتل الحُسَين وزَيْدًا وقَتيلا بجانب المِهْراس

يُريده حمزَة بن عبد المطلب المَقْتول بأُحد.

دَخل رجل من قَيْس على عبد الملك بن مَرْوان فقال: زُبيريّ! والله لا يحبك قلبي أبدًا. قال: يا أميرَ المُؤمنين، إنما يَجْزع من فَقْد الحُبّ النِّساء، ولكنّ عَدْلاً وإنْصافًا.

وقال عمر بن الخطّاب لأبي مَريم الحنفيّ، قاتل زيد بن الخطّاب: والله، لا يُحبك قلبي أبدًا، حتى تُحِبّ الأرضُ الدمَ.

قال: يا أمير المؤمنين، فهل تمْنعني لذلك حقًّا؟

قال: لا.

قال: فَحَسبي.

دخل يزيدُ بن أبي مُسلم على سُليمان بن عبد الملك، فقال له: على امرئ أوْطأك رَسَنك وسَلَّطك على الأمة لعنةُ الله.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنك رأيتَني والأمرُ مُدبر عني، ولو رأيتَني والأمر مُقْبل علي لَعَظُم في عَيْنك ما استصغرت مني؟

قال: أتظن الحجّاج استقرّ في قَعْر جَهنم أم هو يَهْوِي فيها؟

قال: يا أمير المُؤمنين، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك، فَضعْه من النار حيثُ شئت.

وقال مروان بن الحكم لزُفر بن الحارث: بَلغني أن كِندة تَدَّعيك.

قال: لا خَيرَ فيمن لا يُتَقى رهبةً، ولا يدعى رَغبة.

قال مَرْوان بن الحكم للحسن بن دلجة: إني أظنك أحمق؟

قال: ما يكون الشَّيخ إذا أعمل ظَنه؟

وقال مروان لحُويطب بن عبد العُزى: وكان كبيرًا مُسنًّا. أيها الشيخ، تأخر إسلامك حتى سَبقك الأحداث.

فقال: الله المُستعان، والله لقد هممت بالإسلام غيرَ مَرّة كُلّ ذلك يَعُوقني عنه أبوك ويَنهاني، ويقول: يَضع مِن قَدْرك، وتترك دين آبائك لدين مُحْدَث، وتَصير تابعًا. فسكت مَرْوان.

وقال سُليمان بنُ عبد الملك ليزيد بن المُهلَب: فيمن العِزُّ بالبَصرة؟

قال: فينا وفي حُلفائنا من رَبيعة.

قال سليمان: الذي تحالفتما عليه أعزّ منكما.

جواب في هزل:

كان إبراهيمُ بن عبد الله بن مُطيع جالسًا عند هِشام، إذ أَقبل عبدُ الرحمن ابن عَنْبسة بن سَعيد بن العاص أحمرَ الجُبّة والمِطْرف والعِمامة.

فقال إبراهيم: هذا ابنُ عَنْبسة قد أَقبل في زينة قارُون.

قال: فَضَحِكَ هشام.

قال له عبدُالرحمن: ما أَضحكك يا أميرَ المُؤمنين؟

فأَخبره بقول إبراهيم.

فقـال له عبدُالرحمن: لولا ما أَخاف مـن غَضبه عليك وفي وعلى المُسلمين لأجبته؟

قال: وما تخاف من غَضبه؟

قال: بلغني أن الدَّجال يَخْرج من غَضْبة يَغْضَبها، وكان إبراهيم أَعْور.

قال إبراهيمُ: لولا أن له عِندي يدًا عظيمة لأجبتُه.

قال: وما يده عندك؟

قـال: ضرَبـه غلامٌ له بمُدية فأصابه، فلمّا رأى الـدم فزعَ، فَجَعل لا يَدْخل عليه مَملوك إلا قال له: أنت حرّ، فدخلتُ عليه عائدًا، فقلت له: كيف نجدك؟

قال لي: أنت حُر.

قلت له: أنا إبراهيم.

قال لي: أنت حُر.

فَضحِك هشامٌ حتى اسْتَلْقَى.

أدْخِـل مالكُ بن أَسماء السجن - سِجْن الكوفة - فجلس إليه رجلٌ من بني مُرّة فاتكأ عليه المُري يُحدّثه، ثم قال: أَتَدري كم قَتلنا منكم في الجاهلية؟

قال: أما في الجاهلية فلا، ولكن أعرف من قتلتم منّا في الإسلام.

قال: من؟

قال: أنا، قد قَتَلتني بنَتن إبطيك.

قيل لشُريح: أيهما أطيب: الجَوْزنيق أم اللوْزنيق؟

قال: لستُ أَحكم على غائب.

هشـام بن القاسم قال: جَمعني والفَرزدقَ مجلس فتجاهلتُ عليه، فقلتُ: مَن الكَهْل؟ قال: وما تَعرفني؟

قلت: لا؟

قال: أبو فِراس.

قلتُ: ومَن أبو فِراس؟

قال: الفرزدق.

قلت: ومَن الفرزدق؟

قال: وما تعرف الفرزدق؟

قلت: لا أعرف الفرزدق إلا شيئًا يفعله النساء عندنا يَتَشهَوّن به كهيئة السّويق.

قال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم يَتَشهَّوْن بي.

جواب في فخر:

قال الأبرش الكلبيّ لخالد بن صَفْوان: هَلُمّ أفاخرْك، وهما عند هشام بن عبد الملك.

قال له خالد: قُل.

فقال له الأبرش: لنا رُبع البيت - يُريد الرُّكن اليَمانيّ - ومنّا حاتم طيء، ومنا المُهلّب بن أبي صفرة.

فقال خالد بن صفوان: منّا النبيّ المُرسل، وفينا الكِتاب المنزل، ولنا الخليفة المُؤمّل.

obeikandl.com

قال الأبرش: لا فاخرتُ مُضريًّا بعدك.

ونـزل بأبـي العباس قوم مـن اليمن مـن أخواله من كَعـب، ففخروا عنده بقَديمهم وحَديثهم، فقال أبو العباس لخالد بن صَفوان: أجب القوم.

فقال: أخوال أمير المؤمنين.

قال: لا بد أن تقول.

قال: وما أقول يا أميرَ المُؤمنين لقوم هم بين حائك بُرد، ودابغ جِلْد، وسائِس قِرْد، مَلَكتهم امرأة، ودَلّ عليهم هُدهد، وغَرَّقتهم فأرة؟

فلم يَقُم بعدها ليمانيّ قائمة.

قال عبدُ الملك بن الحجّاج: لو كان رجل من ذهب لكُنْتُه.

قال له رجلٌ من قُريش: وكيف ذلك؟

قال: لم تَلِدْتي أمَة بيني وبين آدم ما خلا هاجَر.

فقال له: لولا هاجَر لكُنْت كَلْبًا من الكِلاب.

دخـل عمـر بن عُبيد الله بن مَعْمر على عبد الملـك بن مروان، وعليه حِبرَة صَدّأة عليها أثر الحمائل.

فقال له أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد: يا أبا حَفْص، أي رجل أنت لو كنتَ من غير مَن أنت منه من قريش؟

قـال: ما أحب أني من غـير مَن أنا منه، إنّ منّا لسيـد الناس في الجاهلية عبـدَ الله بن جُدْعان، وسيّدَ الناس في الإسلام أبا بكر الصدّيق، وما كانت هذه يدي عندك، إني استنقذت أمهاتِ أولادك من عدوك أبي فُديك بالبحرين، وهُنّ

حَبالى، فولدن في حجابك.

قال عبدُالرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة، لمُعاوية: أما والله، لو كُنَّا بمكة على السواء، لعلمتَ!

قال مُعاوية: إذًا كنتُ أكون مُعاوية بن أبي سفيان، مَنْزلي الأبْطح، يَنشقّ عنّي سَيْلُه، وكنتَ عبدَ الرحمن بن خالد، منزلُك أَجياد، أعْلاه مَدَرَة، وأسفله عَذِرة.

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفَضل: يا هذا، إنّك تَتطاول بهاشم كأنك جمعتها، وهي تَعتدّ في أكثر من خمسة آلاف.

قال له محمد بن الفضل: إنَّ كثْرة عددها ليس يُخرج من عنقك فَضْل واحدها.

جاء في رسائل الجاحظ: يقول بعض البلغاء: اللحظ يعرب عن اللفظ.

وقال آخر: رب كناية تغني عن إيضاح، ورب لفظ يدل على ضمير.

ونظمه الشاعر، فقال:

جعلنا علامات المودّة بيننا ... دقائق لحظٍ هنّ أمضى من السّحر

فأعرف منها الوصل في لين لحظها ... وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر

وفي هذا قال بعض الحكماء: العين باب القلب، فما في القلب ظهر في العين.

وقال الشاعر:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبّة أو بغضٍ إذا كانا

فالعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال المجنون:

كلانا مظهرٌ للناس بغضًا وكلٌّ عند صاحبه مكينُ

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوىً دفينُ

نوادر وملح لبعض الأعراب:

خرج الحجاج متصيدًا بالبادية، فوقف على أعرابي يرعى إبلاً له.

فقال له: يا أعرابي، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج؟

قال له الأعرابي: غشوم ظلوم، لا حيّاهُ الله.

فقال: فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبدالملك؟

قال: فأظلم وأغشم.

فبينا هو كذلك إذا أحاطت به الخيل، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي، فأخذ وحمل، فلما صار معه، قال: من هذا؟

قالوا له: الحجاج.

فحرك دابته حتى صار بالقرب منه، ثم ناداه: يا حجاج.

قال: ما تشاء يا أعرابي؟

قال: السر الذى بينى وبينك أحب أن يكون مكتومًا.

فضحك الحجاج ، وأمر بتخلية سبيله.

وخرج أبو العباس السفاح متنزهًا بالأنبار، فأمعن في نزهته، وانتبذ من أصحابه، فوافى خباءً لأعرابي.

فقال له الأعرابي: ممن الرجل؟

قال: من كنانة.

قال: من أي كنانة؟

قال: من أبغض كنانة إلى كنانة.

قال: فأنت إذن من قريش.

قال: نعم.

قال: فمن أي قريش ؟

قال: من أبغض قريش إلى قريش.

قال: فأنت إذن من ولد عبد المطلب.

قال: نعم.

قال: فمن أي ولد عبد المطلب؟

قال: من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب.

قال: فأنت إذن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أمير المؤمنين، ووثب إليه فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة.

وولَّى يوسف بن عمر الثقفي صاحب العراق أعرابيًّا على عمل له، فأصاب عليه خيانة، فعزله، فلما قدم عليه، قال له: يا عدو الله، أكلت مال الله؟

قال الأعرابي: فمال من آكل إذا لم آكل مال الله؟ لقد راودت إبليس أن يعطيني فلسًا واحدًا فما فعل. فضحك منه ، وخلى سبيله.

obeikandl.com

وأخذ الحجاج أعرابيًّا لصًّا بالمدينة، فأمر بضربه، فلما قرعه بسوط،

قال: يا رب، شكرًا، حتى ضربه سبعمائة سوط.

فلقيه أشعب، فقال له: تدرى لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟

قال: لماذا ؟

قال: لكثرة شكرك ، إن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۝٧﴾ إبراهيم.

قال: وهذا في القرآن؟

قال: نعم.

فقال الأعرابى:

يا رب، لا شكرًا فلا تزدنى أسأت في شكري فاعفُ عني

ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابيةٌ، ولها دجاجةٌ، وقد دجنت عندها فذبحتها، وجاءت بها إليه.

فقالت: يا أبا جعفر، هذه دجاجة لي، كنت أدجنها، وأعلفها من قوتي، وألمسها في آناء الليل، فكأنما ألمس بنتي زلت عن كبدي فنذرت الله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك، فأردت أن أدفنها فيه.

فضحك عبدالله بن جعفر، وأمر لها بخسمائة درهم.

وسمع أعرابي وهو يقول في الطواف: اللهم، اغفر لأمي.

فقيل له: مالك لا تذكر أباك؟

قال: أبي رجل يحتال لنفسه، وأما أمي فبائسة ضعيفة.

وقال أبو زيد: رأيت أعرابيًّا كأن أنفه كوز من عظمه ، فرآنا نضحك منه.

فقال: ما يضحككم؟ فوالله، لقد كنت في قوم ما كنت فيهم إلا أفطس.

وجيء بأعرابي إلى السلطان، ومعه كتاب قد كتب فيه قصته، وهو يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ الحاقة.

فقيل له: يقال هذا يوم القيامة.

قال: هذا والله، شر من يوم القيامة، إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي، وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي.

واشترى أعرابي غلامًا، فقيل للبائع: هل فيه من عيب؟

قال: لا، إلا أنه يبول في الفراش.

قال: هذا ليس بعيب إن وجد فراشًا فليبلّ فيه.

ومر أعرابي بقوم، وهو ينشد ابنًا له، فقالوا له: صفْهُ.

قال: كأنه دنينير.

قالوا: لم نَرَه.

ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي، وعلى عنقه جعل.

فقالوا: هذا الذي قلت فيه دنينير؟!

قال: القرنبي في عين أمها حسناء.

وقيل لأعرابي: ما يمنعك أن تغزو؟

قال: والله، إني لأ بغض الموت على فراشي ، فكيف أن أمضي إليه ركضًا؟

وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له، فلما كان ببعض الطريق قفل راجعًا يريد أهله، فلقيه ابن عم له، فسأله عن أهله ومنزله؟

فقال: اعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام وقع في بيتك الحريق.

فرفع الأعرابي يديه إلى السماء، وقال: ما أحسن هذا يا رب! تأمرنا بعمارة بيتك أنت، وتخرب بيوتنا.

وخرجت أعرابية إلى الحج، فلما كانت في بعض الطريق عطبت راحلتها، فرفعت يديها إلى السماء، وقالت: يا رب، أخرجتني من بيتي إلى بيتك، فلا بيتي ولا بيتك.

ونظر أعرابي إلى رجل سمين، فقال: أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك.

أسئلة لمهارات الاتصال:

إنَّ قراءة هذه الأسئلة والإجابة عنها أيًّا كانت الإجابة التي يختارها القارئ، تنبئ عن المستوى المهاري الذي يتمتع به، ولعلَّ قراءة الكتاب، وما أثبتناه من نصوص في المهارات، من: الكتاب العزيز، والسنة الشريفة، ومن تراثنا العربي، تجعل قارئنا الكريم ينظر بوضوح، ويتأمّل بتدبر كلَّ كلمة من هذه الكلمات القيمة التي تضع أقدامنا على درجة أعلى من درجات المهارات، ونستطيع من خلالها أن نرتقي بمهاراتنا الدرجة التي تبلغنا أهدافنا.

مجموعة أسئلة في المهارات:

١- وصلتك رسالة من شخص فيها ذمٌّ وقدح لك، فكيف تردُّ؟

- ترد عليه برسالة مشابهة ☐
- تتريّث وتفكّر، ثم تجيبه برسالة لطيفة ☐
- ترد عليه برسالة تنصحه بترك هذه الأساليب ☐
- تهمله، ولا ترد عليه ☐

٢- عرَّض بك زميل في اجتماع عام، فكيف تجيبه؟

- تعرِّض به أيضًا ☐
- تهاجمه صراحة ودون مواربة ☐
- تبين صحّة موقفك دون إثارة ☐
- تسكت على مضض ☐

٣- أنت الرئيس، ونقل لك موظف أن أحد الموظفين ينال منك، فكيف تعمل؟

- تشجّع الموظف على هذا الفعل وتكافئه ☐
- تتخذ إجراءً حاسمًا ضد الآخر ☐
- تحقّق في الأمر ☐
- تجمعهما معًا وتواجههما ☐
- ترفض هذا الأسلوب ☐

٤- أخطأت في حقِّ منْ هو أقلُّ منك رتبةً، فكيف تتصرَّف؟

- تعتذر له ☐
- ترفض الاعتذار؛ كونه يقلِّلُ من مكانتك ☐
- تحاول تعويضه بمكافأة ☐

٥- كنتَ في مجلس، ووجه صاحبُ المجلس سؤالاً لغيرك، فماذا تصنع؟

- تجيب قبل السائل ☐
- تنتظر عدم إجابته وتجيب ☐
- تنتظر أن يوجَّه إليك السؤال فتجيب ☐

٦- جلست في انتظار شخص على موعد، فتأخر عليك، فكيف تتصرَّف؟

- هل تغادر؛ لعدم حرصه على الوفاء بالوعد ☐
- تنتظر مجيئه وتُظهر له الامتعاض ☐
- ترى الأمر عاديًا وتنشغل بقراءة أو استرجاع من الذاكرة ☐

obeikandi.com

٧- عند حضوره متأخرًا، ماذا يكون ردُّ فعلك؟

تجد له عذرًا ☐

توبّخه ☐

لا تكترث للأمر ☐

٨- ذهبت لزيارة صديق، فاعتذر عن استقبالك، كيف يكون شعورك؟

تُقسم ألا تزوره أبدًا ☐

تجد له عذرًا وتأخذ موعدًا آخر للزيارة ☐

تعطيه موعدًا، وتصنع معه الشيء نفسه؛ انتقامًا منه ☐

٩- دعيتَ لحفل يحضره مسؤولون كبار، وكنت من أول الداخلين إلى القاعة، فأين تجلس؟ ضع علامة صح أمام الإجابة التي تراها مناسبة:

في الصفوف الأمامية ☐

الصفوف الوسطى ☐

الصفوف الخلفية ☐

النقد الذاتي:

١٠- هل استطعت تحقيق هدفي لهذا اليوم، لهذا الشهر، لهذا العام؟

نعم ☐ لا ☐

إذا كان الجواب بالإيجاب، يستدعي السؤال الآتي:

١١- ما العوامل التي ساعدت على تحقيق الهدف؟

الجد والاجتهاد والمثابرة ☐

سهولة الهدف والوصول إليه ☐

مساعدة الآخرين ☐

طرق أخرى غير مشروعة ☐

١٢- إذا كان الجواب بالنفي يستدعي السؤال الآتي:

التقصير في الأداء ☐

بعض المعوِّقات الظرفية ☐

أشخاص يقفون في طريق نجاحي ☐

obeikandl.com

١٣- عوامل كثيرة تهدِّدُك بالفشل، فما الحل؟

المواجهة ☐

المراوغة ☐

الهروب ☐

١٤- ما الصعوبات التي تواجهك في الاستماع، وتركيز الانتباه؟

الانشغال النفسي ☐

الإرهاق الجسدي ☐

مرض عضوي ☐

التشويش ☐

أمور أخرى اذكرها..... ☐

١٥- هل تستطيع ضبط مشاعرك الإيجابية أو السلبية تجاه محدثك؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

١٦- هل تقبل على محدِّثَكَ بوجهكَ وفكرك ومشاعرك؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانًا ☐

١٧- هل تقاطع محدِّثَكَ قبل إنهاء فكرته؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانًا ☐

١٨- هل تظهر رغبةً في الاستماع لمحدِّثك؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانًا ☐

١٩- ما الأسلوب الذي تتبعه في ضبط ما تسمع؟

أُركِّزُ في المسموع ☐

أكتب النقاط الرئيسة ☐

أنصرف عن الشواغل ☐

من خلال الأسئلة، ومن خلال إجاباتك، اكتب موضوعًا لا يزيد عن خمسة عشر سطرًا في مهارة الاستماع.

obeikandl.com

٢٠ ـ ما قيمة القراءة في نظرك؟

عالية ☐ متوسطة ☐ متدنية ☐

٢١- هل للقراءة أثر في القارئ؟

إيجابي ☐ سلبي ☐ بين بين ☐

٢٢- كم ساعة تقرأ يوميًّا في التخصص؟

ساعتان ☐ ٣ ساعات ☐ ٤ ساعات ☐

٢٣- كم ساعة تقرأ قراءة حرَّة؟

لا أقرأ ☐ قليل ☐ ساعة ☐ أكثر ☐

٢٤- ما الطريقة التي تفضِّلها في القراءة؟

الجهرية ☐ الصامتة ☐ الغمغمة ☐

٢٥- ما أفضل الأوقات التي تحبِّذها للقراءة؟

بعد الفجر ☐ النهار ☐ آخر الليل ☐

٢٦- ما أفضل الأماكن لديك للقراءة؟

المكتبة ☐ الغرفة الخاصة ☐ الهواء الطلق ☐

٢٧- ما الحالة التي تفضلها في أثناء القراءة؟

الجلوس على المكتب ☐ الجلوس على الأرض ☐ السير ☐

٢٨- لماذا أتعلَّم؟

رغبةً في العلم ☐

مباهاة ☐

للوظيفة ☐

٢٧- العلم يحتاج إلى:

الصبر ☐

المال ☐

الذكاء ☐

obeikandl.com

٢٨- لا أستطيع الصبر على طلب العلم، أريد وسيلة سهلة:

المذكرات المختصرة ☐

المساعدة ☐

الغش ☐

٢٩- لا أحتاج إلى العلم:

مركز والدي المالي ☐

مركز والدي الاجتماعي ☐

البحث عن المال أفضل ☐

٣٠ ـ هل (عملت، عملنا) ما يكفي للوصول إلى الهدف؟

نعم ☐ لا ☐

٣١- هل أسهمت مع المجموعة بفاعلية كي تحرز الهدف؟

نعم ☐ لا ☐

٣٢- ما المشكلات التي (واجهتني، واجهتنا) في أثناء الوصول إلى الهدف؟

الخطة ☐

الإدارة ☐

بيئة العمل ☐

مشكلات طارئة ☐

٣٣- هل (أتممت، أتممنا) تنفيذ الخطة المرسومة بدقة؟

نعم ☐ لا ☐

٣٤- هل (استطعت، استطعنا) مواجهة التحديات؟

نعم ☐ لا ☐

٣٥- هل الترتيبات المتخذة كافية؟

نعم ☐ لا ☐

obeikandl.com

٣٥- هل (المنفِّذ، المنفِّذون) كانوا على دراية كافية بموضوعهم ؟

نعم ☐ لا ☐

٣٦- هل نجحت الخطة بكل تفصيلاتها؟

نعم ☐ لا ☐ بعض تفصيلاتها ☐

٣٧- لو (سرت، سرنا) بخطة أخرى (أقلِّل، نقلِّل) من نسبة الفشل:

نعم ☐ لا ☐

٣٨- هل كان (باستطاعتي، باستطاعتنا) إحداث بعض التغييرات لضمان نجاح الخطة، من خلال:

الخطة ☐

الأهداف ☐

القرارات ☐

الأدوات ☐

٣٩- هل (أستطيع، نستطيع) إنجاز مشروعنا في الزمن المحدَّد؟

نعم ☐ لا ☐

٤٠- ما المصادر التي (تعينني، تعيننا) في أداء (مهمتي، مهمتنا) بنجاح؟

التمويل ☐

الإشراف المتميز ☐

الحوافز ☐

نبل الأهداف ☐

٤١- ما الأدوات التي تعينني في تطوير نفسي؟

مراجعة المعلومات ☐

االتدريب الإضافي مع المختصين ☐

الدورات القصيرة ☐

obeikandl.com

٤٢- هل المطلوب أن نتكلم أكثر مما نسمع؟

نعم ☐ لا ☐

٤٣- كنت تعرف جواب المسألة:

تسأل؛ ليكون لك الظهور ☐

تسأل وتجيب في الوقت نفسه ☐

تمتنع عن السؤال لمعرفتك الجواب ☐

٤٤- سؤال دقيق التخصص ولا يتعلق بتخصصك:

تسأل على الرغم من أنك لن تصل إلى فهمه ☐

تسأل وتطلب شرحًا ميسرًا ☐

لا تسأل، فالموضوع أكثر دقة وتعقيدًا مما تتصوَّر ☐

٤٥- إذا وجدت من تريد سؤاله مشغولاً أو مهمومًا:

تقتنص الفرصة وتعرض سؤالك ☐

تلح في السؤال وتصر على الجواب ☐

تستأذنه في الوقت المناسب له للسؤال ☐

٤٦- لو سئلت سؤالاً، والسائل لا يستطيع فهم الجواب:

هل تجيبه، وتشرح له الأمر ☐

تُعرض عنه وتُهمله ☐

تعدل عن الجواب إلى جواب شيءٍ تفهمه ☐

٤٧- يحدِّثك محدثك بحديث:

تُصغي إليه وتُقبل عليه ☐

تُكثر التلفُّت والحركة والانشغال ☐

لا تمهله، وتقطع حديثه ☐

obeikandl.com

٤٨- شخص يتصل بك في وقت غير مناسب:

- تقطع الاتصال معه بحدة ☐
- تصبر عليه، وتسمع مقالته خجلاً ☐
- تبين له عدم مناسبة الوقت بأدب ☐

٤٩- تتابع ندوة من الندوات:

- تعتمد على ذاكرتك في تذكر الملحوظات ☐
- تدون هذه الملحوظات بإيجاز ☐
- تهمل كل ذلك ☐

٥٠ ـ لديك مقابلة مهمة:

- تهتم بأناقتك ومظهرك وتبالغ في ذلك ☐
- تهمل هذا الأمر؛ لأن الرجل مخبر لا مظهر ☐
- تعتدل في ذلك، وتتوسط ☐

obeikandl.com

obeikandl.com

المصادر والمراجع:

- أدب الخواص للوزير المغربي، إعداد حمد الجاسر، دار اليمامة بالرياض ١٩٨٠م.
- أدب الكاتب لابن فتيبة الدينوري، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢هـ /١٩٦٣م.
- الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع.
- الاتصال الجماهيري لصالح خليل أبو إصبع، دار الشروق، الطبعة الأولى، عمان ١٩٩٩م.
- أثر مشاهدة التلفزيون على عادة القراءة عند الأطفال، د. راشد الفضلي، وزارة المعارف السعودية، كلية المعلمين بالدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٣م.
- الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، د. عبد الرحمن عيسوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الأطفال في التراث العربي جمع وتقديم د. عبد الرزاق حسين، نشر إدارة الثقافة بجامعة الإمام بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، طبعة بولاق ١٢٨٥هـ.
- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- بهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي، تحقيق د. محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٦م.
- التذكرة الحمدونية لابن حمدون النديم، تحقيق د. إحسان عباس، معهد الإنماء العربي، بيروت، والدار العربية للكتاب، طرابلس- تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمد رأفت سعيد،مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،دار الشعب بمصر.
- حماسة أبي تمام، تحقيق د. عبد الله العسيلان، مطابع جامعة الإمام بالرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٨٣م.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق د. محمد عبده عزام.
- ديوان جميل بن معمر، تحقيق د. حسين نصار، القاهرة، مكتبة مصر.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب المصرية، دار المعارف ١٩٦٤م.
- ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م.
- ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، بالقاهرة.
- ديوان بشار بن برد، جمع السيد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

- ديـوان طرفة بـن العبد، تحقيق لطفـي الصقال ودرية الخطيـب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
- ديـوان الغزي تحقيق د. عبد الرزاق حسين، طبـع مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- ديوان المجنون، تحقيق عبد السلام فراج، دار مصر للطباعة.
- زهـر الآداب وثمـر الألبـاب للحصـري، تحقيـق علـي البجـاوي، القاهـرة، ١٩٥٣م.
- سـر الفصاحـة لابن سنـان الخفاجي، دار الكتـب العلمية، بـيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- سيكولوجية الاتصال للدكتور محمد حسن عبد الله.
- الشعـر العربي الحديث ١٨٠٠- ١٩٧٠ تطـور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي، ترجمة د. شفيع السيد والدكتور سعد مصلوح، طبع دار الفكر العربي، القاهرة.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م.
- الشعـور بالعـور للصفدي، تحقيق د. عبـد الرزاق حسـين، دار عمار، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية.
- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا، ١٩٨١م.
- صحيح مسلم، دار الطباعة، العامرة، ١٣٢٩هـ.
- طـراز الحلة وشفاء الغلة لأبي جعفر الرعينـي، تحقيق رجاء الجوهري، نشر مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق محمد سعيد العريان، مكتبة الرياض الحديثة.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٧٢م.
- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، دراسة وتحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٠م.
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، شرح د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- فن النثر المتجدد، د. عبد الرزاق حسين، مؤسسة المختار القاهرة، ودار المعالم بالأحساء، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
- القاموس المحيط للفيروزابادي، المطبعة المصرية، الطبعة الثالثة،١٩٣٥م.
- قضايا أدبية عامة، آفاق جديدة في نظرية الأدب، تأليف إيمانويل فريس وبرنار موراليس، ترجمة د. لطيف زيتوني، عالم المعرفة رقم ٣٠٠ لعام ٢٠٠٤م، الكويت.
- كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٠٥- تحقيق: إبراهيم الإبياري.
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي.
- كتاب المصنَّف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- كيف ترفع مهاراتك الإدارية في الاتصال لأحمد ماهر.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.

- اللغة والتواصل الاجتماعي للدكتور فتحي يونس وآخرين.
- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
- المحاسن والمساوئ للبيهقي، دار صادر، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني.
- المستطرف في كل فن مستظرف للإبشيهي، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- المستقصى في الأمثال للزمخشري، حيدر أباد بالهند ١٩٦٢م.
- المصون في الأدب للعسكري، تحقيق عبد السلام هارون، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت ١٩٦٠م.
- معجم الأمثال العربية، جمع عبد الحميد مراد، طبع إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام بالرياض ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٣م.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني،الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣ تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المنتخب والمختار في النوادر والأشعار لابن منظور، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، دار عمار الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٤م.
- الكتابة بين الموضوع والفن، د. عبد الرزاق حسين، مكتبة المتنبي، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- المهارات اللغوية ماهيتها وطرائقها لأحمد فؤاد عليان.
- المهارات الأساسية في اللغة العربية للدكتور سميح أبو مغلي ومصطفى الفار.

obeikandi.com

- مهـارات وإستراتيجيـات القراءة المعينـة على فهم المسائـل اللفظية في مادة الرياضيات مجلة جامعة الملك سعود لعام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م مجلد١٥.
- المثـل السائـر في أدب الكاتـب والشاعر أبـي الفتح ضياء الديـن نصر الله بن محمد بن محمد بـن عبدالكريم الموصلي الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٩٥تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
- نـثر الدر للآبي، تحقيق محمد قراعة، وعلي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٨٠م.
- نصرة الثائر على المثل السائر لصلاح الدين الصفدي.
- نهاية الأرب للنويري، دار الكتب ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م
- النهايـة في غريـب الحديث والأثر لابـن الأثير، تحقيق د. محمـود الطناحي وطاهر الزواوي، مطبعة الحلبي، مصر.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨م.